

مكتبة الشعراوي الإسلامية

الفضيلة والردية

داعية الإسلام فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نفحات فضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى ،
وفَيْضُ الله سبحانه عليه بعلمه ، فَيُضُّ متواصل العطاء
والمَدَد على مدى أجيال وأجيال ، ينير الطريق للطائعين
السالكين طريقَ الحق ، ويأخذ بأيدي العاصين لعَلَّهم
يهتدون ويستعدون عن طريق الغواية والمعصية والرديلة ،
ويستقيمون على أمر الله .

يقول الحق سبحانه :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ .. ﴾ (١١٢) [مود]

فالأمر بالاستقامة هو أمر بدقّة الاداء المطلوب لله أمراً
ونَهياً ، بحيث لا نميل إلى جهة دون جهة ، والاستقامة
تتطلب كامل اليقظة وعدم الغفلة .

يقول تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا

تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ [فصلت]

أى : ساروا فى الاتجاه المستقيم دون أن يلتفتوا يمينا ولا شمالاً ، ولم يربعوا فى الطريق الواسع بل ساروا فى وسطه دون ميل أو انحراف .

لذلك قال تعالى فى الفاتحة :

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٦) [الفاتحة]

فما هو الصراط ؟ هو الطريق الموصلة إلى الغاية ، وهو صراط مستقيم لأن الله سبحانه وتعالى وضع لنا فى منهجه الطريق المستقيم ، وهو أقصر الطرق إلى تحقيق الغاية ، فأقصر طريق بين نقطتين هو الطريق المستقيم .

ولذلك إذا كنتَ تقصد مكاناً فأقصر طريق تسلكه هو الطريق الذى لا اعوجاج فيه ، ولكنه مستقيم تماماً ، ولا تحسب أن البعد عن الطريق المستقيم يبدأ باعوجاج كبير ، بل باعوجاج صغير جداً ، ولكنه ينتهى إلى بُعد كبير .

ويكفى أن تراقب قضبان السكة الحديد ، فعندما يبدأ القطار فى اتخاذ طريق غير الذى كان يسلكه فهو لا ينحرف فى أول الأمر إلا بضعة ملليمترات ، فأول التحويلة يكون ضيقاً جداً ، ثم يتسع الفرق ويزداد اتساعاً .

إنن : فأى انحراف مهما كان بسيطاً يبعدك عن الطريق

المستقيم بُعداً كبيراً ، لذلك فإننا ندعو الله أن يهدينا الصراط
المستقيم ، الطريق الذى ليس فيه مخالفة تُبعدنا عن طريق
الله المستقيم .

لذلك فإن الإنسان المؤمن يطلب من الله سبحانه وتعالى
أن يهديه إلى أقصر الطرق للوصول إلى الغاية . وما هي
الغاية ؟ إنها الجنة والنعيم فى الآخرة ، ولذلك نقول : يارب
اهدنا وأعنّا على أن نسلك الطريق المستقيم ، وهو طريق
المنهج ليُوصلنا إلى الجنة دون أن يكون فيه أى اعوجاج
يبعدنا عنها .

وأنت حين تقول : « إهدنا الصراط المستقيم » فأنت تطلب
من الله تبارك وتعالى أن تكون مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين .

أى : أنك تطلب من الله جلّ جلاله أن يجعلك تسلك نفس
الطريق الذى سلكه هؤلاء لتكون معهم فى الآخرة ، فكأنك
تطلب الدرجة العالية فى الجنة ؛ لأن كل مَنْ ذكرناهم لهم
مقام عالٍ فى جنة النعيم .

وهكذا فإن الطلب من الله سبحانه وتعالى هو أن يجعلك
تسلك الطريق الذى لا اعوجاج فيه ، والذى يُوصلك فى
أسرع وقت إلى الدرجة العالية فى الآخرة .

قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ ﴾ (٦٩)

[النساء]

ولا توجد رفقة أفضل من هذه ، ولذلك فالشيطان يريد أن يفسد علينا هذه الرفقة ، فيقول متوعداً بنى آدم :

﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ﴾ (١٦) [الأعراف]

أى : أن إبليس لا يجتهد فى إغواء مَنْ باع نفسه للمعصية ، وانطلق يخالف ما أمر به الله ، فالنفس الأمارة بالسوء لها شيطانها ، وهى ليست محتاجة إلى إغواء لأنها تأمر صاحبها بالسوء ، ولذلك فإن إبليس لا يذهب إلى الخمارات وبيوت الدعارة ، ويبذل جهداً فى إغواء مَنْ يجلسون فيها ، لأن كلَّ مَنْ ذهب إلى هذه الأماكن .. هو من شياطين الإنس .

ولكن إبليس يذهب إلى مهابط الطاعة وأماكن العبادة ، هؤلاء يبذل معهم كلَّ جهده وكلَّ حيله ليصرفهم عن عبادة الله ، ولذلك لا بُدَّ أن نتنبه إلى أن إبليس لم يَقُلْ : لأقعدنَّ لهم على الطريق المعوج ، فالطريق المعوج بطبيعته يتبع الشيطان ، فإبليس يريد أهل الطاعة ، يُزِينُ لهم المعصية ، ويُغريهم بالمال الحرام .

وقد أصرَّ الشيطان على غواية الإنسان ، حتى لا يكون
هو العاصي الوحيد ، فما دام عصي وطُرد من رحمة الله ،
لماذا يكون هو العاصي الوحيد ؟ لماذا لا يكون الكلُّ
عاصياً ؟

وإذا كانت معصية الشيطان بسبب عدم السجود لآدم ،
فلماذا لا يأخذ أولاد آدم معه إلى النار ؟

وعداوة الشيطان هي عداوة مُسَبَّقة ، فقد امتنع الشيطان
عن السجود لآدم بحجة أنه خَيْرٌ من آدم ، وحذر الله آدم ،
ولا بُدَّ أن آدم عليه السلام قد نقلَ هذا التحذير لذريته
وأعلمهم أن الشيطان عدو .

ولكن الغفلة حين تُسيطر على النفوس تُفسح مجالاً
للسيطان لينفذ إلى نفس الإنسان ، والشيطان لا يأتي
للعاصي الذي تغويه نفسه ، لأن العاصي يكفيه مؤونة هذا ؛
لذلك يأتي الشيطان للطائع ليُفسد عليه طاعته .

ولهذا يقول الله عنه :

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ .. (١٦)﴾ [الأعراف]

إذن : فمقعدُ الشيطان ليس في الخمار أو في مكان
فساد ، إنما يجلس على باب المسجد ، ليُفسد على كل ذاهب
إلى الطاعة طاعته .

فالشيطان لن يأتي على الصراط المعوج ، لأن الذي يسير على الصراط المعوج ، والطريق الخطأ لا يريد شيطاناً ، فهو مريح للشيطان ، ويُعينه على مهمته ، فيكون وليه ، فأولياء الشيطان هم كل المخالفين للمنهج وهم نُصراء الشيطان .

وفى هذا إجابة لمن يقولون : إن الوسواس تأتيها لحظة الصلاة ، والصلاة - كما نعرف - هي أشرف موقف للعبد ، لأنه يقف بين يدي الرب ؛ لذلك يحاول الشيطان أن يلهي الإنسان عنها حتى يحبس عنه الثواب .

وهذه الوسواس ظاهرة صحية في الإيمان ، ولكنها تحتاج إلى اليقظة ، فساعة ينزغ الشيطان الإنسان نزغة فليتذكر قول الحق :

﴿ وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٠٠)

[الأعراف]

والاستعاذة تعنى طلب العون والملاجأ والحفظ ، وأنت لا تطلب العون ، ولا تلجأ ولا تستجير إلا بمن هو أقوى ممن يريد أن ينالك بشر .

ومعلوم أن الشيطان له من خفة الحركة وقدرة التغلغل ووسائل التسلل الكثير ؛ لذلك فينبغي ألا نستعiez بمثله أو بمن هو دونه ، ولكنك تستعiez بخالق الإنس والجن

وجميع المخلوقات ، وهو القادر على أن يُعْطَلَ فاعلية الشيطان .

وسبحانه سميع عليم ، فحين تستحضر معنى الاستعانة وأنت مشحون بالإيمان وتلجأ إلى مَنْ خَلَقَ وخلق ذلك الشيطان ، عندئذ لا بُدَّ أن يهرب الشيطان من طريقك لأنه يعلم أنك تلجأ إلى الخالق القوي القادر ، وهو ليست له قوة على خالقه .

والخالق سبحانه بيّن لنا طريق الهدى وطريق المعصية ، ثم ترك لنا أن نختار طاعة الله ورحمته ، أو معصية الله وعذابه ، ولم يُعْطِنا الحق تبارك وتعالى هذا الاختيار إلا في فترة محدودة هي حياتنا في الدنيا ، كما أنه سبحانه لم يُعْطِنا الاختيار في كل أحداث الدنيا ، بل أعطاه لنا في المنهج فقط ، في الطاعة أو المعصية .

والله سبحانه وتعالى أعطانا الاختيار لأنه يريد مَنْ خَلَقَهُ مَنْ يُطِيعُهُ وهو قادر على معصيته ، ويؤمن به وهو قادر على عدم الإيمان ؛ لأن هذه تثبت صفة المحبوبة لله .

الخلق المقهور لله يأتي له قهراً ، لا يقدر على المعصية ، وهذا يثبت القهر والجبروت لله ، ولكن الحق سبحانه وتعالى أراد خَلْقاً يأتيه عن حُبٍّ .

وقد يكون هذا الحب من أجل عطاء الله في الآخرة ونعيمه
وجنته ، فلا يضمنُ الله على عباده بها ، وقد يكون عن حب
لذات الله .

من هنا كان حديث الإمام الشعراوى عن السطاعة
والمعصية ، الفضيلة والرذيلة ، طريقان متناقضان أحدهما
يهدى إلى الجنة ، والآخر يُؤدّى إلى عقاب الله فى النار ،
فأيُّهما تسلك يا مَنْ آتاك الله العقل ؟

الأمر واضح ، فلماذا يغالط العصاة أنفسهم ،
ويستسلمون لهواهم وشيطانهم ؟

لا شك أن هذه غفلة منهم تحتاج منهم لوقفه يضعون
فيها نهاية لاسترسالهم فى فعل المعاصى والشرور .

رحم الله صاحب النفحات الربانية ، وجزاه خير الجزاء
عن إشراقاته ولمحاته النورانية .

الطاعة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
 قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
 وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
 تَأْوِيلًا [النساء ٥٨]

هناك حيثيات توجب هذا الأمر من الله تبارك وتعالى لعباده
 فاحرص ولله المثل الأعلى - نلاحظ بعد صدور حكم من قاصر
 في محكمة أنه يُصدر حيثيات لهذا الحكم ، وهذه الخشيات هي
 السريـر القدوي للحكم سوء كن بالعقوبة أو لبراءة
 بد فأنقصي بحكم ساء على حدوث وقائع مصدقة لمود
 القانون .

وعلى هذا فحيثيات أي حكم هي اسررت ، القدويـه ، حتى تدل
 على سنـه هذا الحكم

وقول الحق سبحانه وتعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ هي
 ملحـه ، الحق سبحانه لم يقل «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 الرَّسُولَ» ولكنه سبحانه وتعالى قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

إذن فالحق سبحانه وتعالى لم يكلف مطلق الناس ما
يطيعوه، وإنما كلف مطلق الناس أن يؤمنوا به

د فحيثية الطاعة لله ، وللرسول ﷺ شأت من الإيمان
بأنه تعالى وبالرسول ﷺ ، وهذه عدالة من الخالق سبحانه
وتعالى فهو سبحانه لم يكلف واحداً أن يفعل فعلاً إلا إذا كان قد
أمر به تعالى ، وأمر بالرسول ﷺ مبلغاً ومشروعاً ، ولذلك نجد
كر تكليف من الله تعالى يبدأ بقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [النساء ٥٩] . إذن فحيثية طاعة لله تعالى ، وطاعة
الرسول ﷺ هي الإيمان

ولذلك نقول دائماً إياكم أن تقبلوا على أحكام الله بالبحث
في عللها أولاً ، ثم الإيمان بها ثانياً، ولكن أقبلوا على أحكام الله
أولاً واسمعوا وأطيعوا ، واحصعوا ، واحشعوا ثم من بعد ذلك
لا مانع من أن يقوم العقل بالتدبر والتأمل ليمهم شيئاً من الحكمة
التي من أجلها تم تحريم هذا الشيء أو ذاك ، أقول بعض الحكمة
وليس كل الحكمة ، ذلك أن حكمة الله لا تنهاى ولا تدرك ولا
يحاط بها

وهناك فرق بين أمر البشر للبشر وأمر الله تعالى للمؤمنين به ،
فإن أمر الله للبشر تسبقه العلة وهي أن الإنسان قد آمن به ، أما أمر
البشر للبشر فمهم من يقول مثلاً أقمى حتى أفعل ما تأمرى
به لأن عقلك ليس أكر من عقلى ، ولست بأقدر على الفهم

الطاعة محبوبة الله سبحانه وتعالى

الحق سبحانه وتعالى حين يطلب منا أن نؤمن به فهذه الطاعة ليست لصالح الله ولكن هي لصالح البشر فالله سبحانه قد خلقنا وهو غنى عما ، ولا يطلب منا شيئاً لصالحه ، ثم ان طاعتنا لا تصيف إليه سبحانه شيئاً ، وحتى خلقه لنا لا يضيف له صفة جديدة ، بل هو سبحانه خالق قبل أن يخلقنا .

الحق سبحانه وتعالى يريد منا الطاعة باختيارنا ، لا بالإكراه . ولا بالقهر ، فالعبد يعد لله تعالى لأنه سبحانه وحده المستحق لعباده ، يعده طاعة له باختياره ، فالعبد كما هو معلوم محبه الله تعالى حق الاختيار في أن يؤمن أو لا يؤمن ، فإذا اختار الإنسان الطاعة على المعصية فهو محب لله فعلاً ، فهناك فرق بين من يقهره الله على الطاعة ، وبين من يذهب إلى الطاعة باختياره



المستر على الناس

يقول رسول الله ﷺ « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نفية قبلت الماء فأنبت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنعم الله بها الناس فشربوا وسقوا وردعو وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعار لا تحسب ماءً ولا تستكلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونعمه ما بعثني الله به فبعثم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »

إِذْ قَالَ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْرُهُ الْإِنْسَانُ بِالْأَرْضِ وَجْهَهُمْ
إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ

لقسم الأول : قسم علم الهدى فانتفع به ، ثم نقل ما عده إلى
اعبر فمع غيره ، وهؤلاء مثلهم كمثل الأرض المخصصة التي
ارتوت فأنتت البردع

القسم الثانی هم الذين يحملون المسح ولا يعملون به ولكن يعلمونه إلى الناس . وعن هؤلاء يقول الحق سبحانه وتعالى : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴿٦﴾ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴿٣﴾ ﴿[لصف] هؤلاء مثل الأرض التي حشرت ماء فشرب منه الناس ولكنها لم تأخذ منه شيئاً ولم تنفع نفسها كما صنعت غيرها

وعلى المسلمين في هذه الحالة أن يأخذوا علمهم ويدعوا عملهم ،
ويحب عندهم ألا يعرضوا بهم ويكلوهم إلى الله تعالى لعله
يهديهم أو يشرح صدورهم لعملهم ، هم عليه من علم خاصة
وأن التعريض بهم أو الصرح فيهم ، يحول لأن على ما هم عليه
من دين وليس على ما يفعلونه .

وفي الحديث «من ستر مسلماً ستره الله في الدين والآخرة» (١) ،
لأن من يعلم أمراً ما عن إنسان لا يصح أن يفصح ذلك للإنسان
فليس هناك إنسان معصوم إلا للأسياء والرسول ، ولذلك فإن لكل
إنسان رلات ، كذلك إذا رأيت رلة لعالم من العلماء فاسرها
حتى يتفصح للناس بعلمه ، لأنك إن أدعتها وانصرف الناس عنه ،
ولم يأخذوا من علمه ما كان من الممكن أن يتفصحوا به في الدين
والآخرة وقديماً قال الشاعر .

خذ بعلمي ولا تركز إلي عملي وحلي العود للدار

القسم الثالث وهم الذين لم يتفصحوا بمهج الله تعالى ،
ولا تفصحوا الناس به

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٢٦٩٩] وترمذي [١٤٢٥] وأبو
داود [١٤٥٥] وابن ماجه [٢٢٥] وأحمد في مسند [٧٠١٨] عن
أبي هريره رضي الله تعالى عنه

إذن . . فمنهجه الله تعالى كالمطر الذي ينزل من لسماء . مرة
على أرض تستفع به وتمنع العير . ومرة ينزل على أرض تستفع به
الأرض ولا تفع غيرها . ومرة ينزل على أرض لم تستفع هي به .
ولا نفعت به الغير



التوكل على الله

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران ١٥٩]

إن فائدة الإيمان في هذه المعادلة الحميلة أن الجوارح تعمل وعليها أن تأخذ بأسباب الله ، والقلوب تتوكل على الحق سبحانه وتعالى ، فالعلاج إذا أرد المرء له لا بد أن يحترق بسدور ، ويحس التسميد ، وأن يقوم بحرث جيد للأرض ، وأن يستظم في مواعيد الري ، وأن يحفظ على البرد من التصقيع مثلاً بتغطيته ، فهذا كله من عمل الجوارح ، وبعد ذلك تتوكل القلوب على الحق سبحانه وتعالى ، إذن فلا يأتي أحد بعلاج أو يقول محصور أب لأمي أحسست سببي لكن المؤمن يتذكر دائما حقيقة وهي أن فوق الأسباب خالقها ، فيقول بقد فعلت كل ما أستطيع وسنددت كل أسباب العمل ، ثم تعاضى يقدر لى الخير ويبارك في روعتى

بعد جاء لإسلام هذه المعادلة، سبحانه الإيمار لأنه ، صلاوة عبدة يخلق أسباب ، ويحترق به ، أسباب ، فلاست ب هي لجوارح البشر ، وفوق الأسباب قادر حكيم ، والإنسان المؤمن حين يحمل فهو يأخذ بالأسباب ، وسين يتوكل مؤمن فيه يرحو عطاء الحق سبحانه وتعالى خالق الأسباب .

يدن . فاجوارح تعمل والقلوب تتوكل ، وهكذا يحب على كل مؤمن أن يضع تلك المعادلة الحميلة في نبرة شعوره دائما ولا يصح طاناً أن التوكل هو توقف الجوارح عن العمل ، فهذا هو التوكل الكذب ، والدليل على كور هذا لدون من التوكل كدباً ، أن صاحبه يترك العمل فيما فيه مشقة ويرغم التوكل ، والأمر السهل لايتوكل فيه .

ب. الذي يأخذ بالتوكل الكاذب هو الذي يمتنع عن العمل ، ولا أحد فيما يرى رجلا من هؤلاء يأتي إليه الطعام ولا يمد يده إليه ويتولاه ، إنما نقول لمش هذا الرجل لو كنت صادق في التوكل يبك أن تمد يدك إلى لقمة لتضعها في فمك واحمل التوكل ، كدب يهدف باللقمة إلى فمك .

ومعبراً عن الإسلام بهي عن التوكل الكاذب ، ولادة الحسن لإمامي . لديك الحق سبحانه وتعالى يقول ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، وعزمي كدبى ، عزمى ، ﴿ فَتَوَكَّلْ ﴾ ، فرى أن عزم يقتضى عزمه ، و لتوكل يقتضى إظهار العجز ، لا معنى توكل لإسب . أنه يعلن عجز أسبى ، ونحواً إلى من عنده قدرة ليست عنده ونحن نرى إسبى يقول لقد وكلت فلانا فى هذا ، الأمر لأبى لا قدر عليه ، إن معنى هذا ، إظهار عجزه ، وأنه ذهب إلى من عنده القدرة ليفعل ما يعجز هو عنه

فالتوكل الإيماني هو تسليم رمام أمور الإنسان إلى الحق سبحانه
وتعالى ثقة منه بحسن تدبيره وهذا هو التوكل المطلق . ولم كان
لله تعالى هو سبحانه الذي أعطى الإنسان الأسباب فعلى الإنسان
ألا يرد يد الله الممدودة بالأسباب ويقول له عاوى يارب ، أو
اصع لى عليه قبل ذلك أن يستفد كل الأسباب

ولحق سبحانه يقول فى وثمة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
سُتَعِينُ﴾ وهذا يعنى أنا نعمل وبطلب العون من الله ، ويقول
الحق سبحانه وتعالى . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران ١٥٩]
ماذا يحهم ؟ لأن المؤمنين به قد أخذوا بأسبابه ثم توكلوا عليه بعد
دث



بين التوكل والتواكل

التوكل على الله يقتضى أن يعلم الإنسان أن لكل حارحة فى الإنسان مهمة إيمانية تقف بالمكر عندما شرع الله . فالأذن تسمع وإن سمعت أمرا من الحق فهى تنفذ الأمر ، وإن سمعت الذين يحدون فى آيات الله فإنها تُعرض عنهم . واللسان يتكلم لذلك لا تقر به إلا لكلمة لطيفة . ولكن حارحة عمل . وعمل حارحة القلب هو ايقين والتوكل ، وحيث إن التوكل على الله هو عدم القلب . فإياك أن تنقل عمل القلب إلى عمل الجوارح ، فتفر أنتوكل إلى جوارح فلا تعمل . إن السعى للقدم ، والعمل ليد والتوكل للقلب فلا تنقل عمل القلب إلى لقدم أو ليد ، لذلك فالتوكل الحقيقى هو أن الجوارح تجعل القلوب تتوكل فكم من عامر يعمل بلا توكل فتكون نتيجة عمله إحباط

إن يجد أن لزراع الذى لا يتوكل على الله وتنمو زراعته شكل حيد وممير قد تهب عليه عاصفة فيصاب الررع بهلاك ويكون الإحباط هو النتيجة

إنك أيها المؤمن عليك أن تحذر إهمال الأسباب . وإياك أيضا أن تهمل الأسباب . إنك إن أهملت لأسباب فأنت غير متوكل بل

متواكل ، فالتوكل عمل لقلب ، وأنت تنقل عمل القلب إلى
 الحوارج إن جوارح عليها أن تعمل ، والقلوب عليها أن تتوكل ،
 وإذا قل لك واحد : أنا لا أعمل بل أتوكل على الله قل له
 هيا لرى كيف يكون التوكل ، وأحصر له طبق طعام يحبه ،
 وعندما يمد يده إلى الطعام قل له : لا أترك الطعام يقصر من الطبق
 إلى فمك إن هذا لهم كادب للتوكل!!



فعل الخير

عندما ننظر في معنى كلمة «خير» نجد أن المقابل لها كلمة «شر»
لكن كلمة خير هي الكلمة الوحيدة في اللغة التي يكون فيها
لاسم مساويا لأفعل التفضيل إذا أضيفت لها «من» لتصح «خير
من»

والخير هو ما يأتي بالنفع ، ولكن مقياس النفع يختلف باختلاف
الناس فواحد ينظر إلى النفع لعائل ، وواحد ينظر إلى نفع أهل
ولمضرب على ذلك مثلا ولله المثل الأعلى - بأخوين الأول
يستيقظ مبكرا ويذهب إلى مدرسته ، ويستمتع إلى أساتذته ،
ويواظب على قراءة دروسه واستيعابها ، والآخر يوقطوه من النوم
تنتهى الصعوبة فإذا استيقظ فاستنقاه قهر ، ويخرج من المنزل لا
إلى المدرسة ، ولكن ليتسكع في الشارع ويلعب مع هذا وذاك

إن كلاهما يحب الخير لنفسه ولكن الخلاف بينهما يكون في
تقييم الخير ، واحد يفصل الخير الأحل ، وآخر يفصل الخير
العاجل ولو كان فيه ضياع لحياته .

واحد يفصل أن يتعب عشر أو خمس عشرة سنة ليكون إنسانا ذا
مكانة في المجتمع ، وآخر يفصل أن يلعب الآن ولو كان ذلك فيه
دمار لمستقبله .

مثان بحر فلاح يملح الأرض ، ويحسن رعايتها ، ويعتبرها
 فصلا من الله تعالى فيرعى حق الخلق فيما وهب ، ويروى
 الأرض ويسمدها ، ويرجو الحق أن يبارك له في الرزق فيمر
 الوقت ويضج الزرع فيحصده ويملا الرحل محازنه برق الله
 الوفير ، ويزكى ماله وزرعه ، ويطل طوال العدم يأكل هو وأساؤه
 مما رزقه الله شريحة لتعبه وكده ، وآخر لا يرعى حق الله فيما
 وهبه من أرض ويتركها ويهملها ، ولا يرهق نفسه ، ويستسلم
 للكسل ، ويأخذ رزقه من السرقة أو التسول

إذن فهناك معايير مختلفة لحب الخير ، فلماذا نرهق أنفسنا
 في وضع مقاييس للخير ؟ ، إن الحق هو الذي أنزل الشريعة الغراء
 وبها كل معايير الخير . إن معايير الخير التي من وضع الخلق قد
 تحتل ، لكن معايير الخير التي وضعها الحق لا تختل أبداً



الصدق

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١] أى يا من آمنتم بالله اتقوا الله أى اجعلوا
بينكم وبين الله وقية ولكن المصوص أن المؤمن يكون فى معية
الله فكيف يطلب الحق سبحانه وتعالى من أن يجعل بيننا وبينه
وقاية ؟

يقول أى اجعلوا بينكم وبين صفات الخلال فى الله وقاية ،
وهنا يأتى من يتساءل بأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾
وتزل سبحانه ، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فكيف يسجى المعنى ؟

يقول إن المعنى مسجى ، لأن الدر جند من حدود حلال الله
تعالى ، فكأن الحق سبحانه وتعالى يقول اجعلوا بينكم وبين
النار التى هى من حدود صفات الخلال وقاية .

وقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أى التحموا ،
بهم فتكونوا فى معية الله ، فإذا جاء من بعدكم وجدوكم من
الصادقين

إد ف ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ سافى ﴿لَمَنِ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف ٥٠]

ولكن من هم الصادقون ؟

مادة الكلمة «الصاد ، والدال ، والواو» تدل على أن هك مسا
يحب أن تتوافق مع بعضها البعض فما معنى هذه النسب؟

إن لإسناد حين يتكلم فإنه قبل أن يطلق بالكلمة تمر على ذهه
سنة ذهبية قبل أن تكون سنة كلامية مثل إذا أردت أن أقول
«محمد ربي» قبل أن تسمع سبي يطلق بهذه العبارة إليها تمر
على ذهبي 'ولا ، والمستمع لا يدرى شيئاً عنها ، فإذا قلت بي
كلام أعلم أن السنة الذهبية جاءت إلى عقلك فترحمها لسانيك
إلى سنة كلامية فطلق بها فلما سمعها السامع عرف أولاً الستين ،
وقد تكون هذه النسبة صحيحة وواقعة . حينئذ يكون الصدق ،
وقد تكون غير صحيحة ويكون الكذب

إذن . فالصدق هو أن تطابق السنة الكلامية الواقع ، وإذا لم
تتطابق فذلك هو الكذب ، فكل كلام يقال محتمل الصدق أو
الكذب ، والصدق هو الذي يجمع كل خصال الإيمان ، وجاء في
الأثر حديث البدوي الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال له في ثلاث
خصال لا أقدر عليها . « الأولى النساء ، والثانية الخمر ، والثالثة
الكذب » وقد جئتكم في خصلة من الخصال الثلاث أتوب منها
فقال له رسول الله ﷺ كن صادقاً وما عليك « فلما ألحت عليه
حصلة شر . الخمر قال . وإن سألتني رسول الله ﷺ «أشربت
الخمر» فمداً أقول به ؟ لابد أن أقول له الصدق فامتنع عن شرب
الخمر ، وعندما مر إلى امرأة واشتهاها قال إن سألتني رسول
الصدق ٢٨

له ﷺ « ماذا فعلت مع النساء ؟ » فمادا أقول له ؟ لاند أن أقول له لصدق فامتنع عن النساء ؛ وهكذا ، معه الصدق من المعاصي ، وبذلك عندما سُئل رسول الله ﷺ أسرف المؤمن ؟ قال نعم يُرى للمؤمن ؟ قال نعم ، أيكذب المؤمن ؟ قال لا ^(١)

والله سبحانه وتعالى ينه إلى أنه لاند أن يكون كلامك مطبقا لواقع فعند وإياك أن تقول كلاما وفعلك غيره ، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف]



(١) روى أحمد في مسند [٢ / ٩٩] عن صفوان بن سليم قال • قيل يارسول الله أيكون المؤمن جذاً ؟ فقال نعم فقيل له أيكون المؤمن حلاً ؟ فقال نعم فقيل له أيكون المؤمن كذاً ؟ فقال لا قد احتفظ المذري ، روى مالك مرسلاً

الصبر

الصبر هو حس النفس بحيث ترصى بمكروه نزل بها ، والمكروه له مصدران

الأول أمر لا غريم لك فيه فإن أصابك مثلاً مرض أو عجز ، أو فقدت أحد أولادك بموت ، فهذا ليس لك غريم فيه ، ولا نستطيع أن تفعل معه شيئاً

والثاني أمر لك غريم فيه كأن يعتدي عليك أحد ، أو يسرق مالك أو غير ذلك .

الأمر الذي لا غريم لك فيه ، ليس أمامك إلا الصبر ، والأمر الذي لك غريم فيه تكون نفسك مشتتة رعدة الانتقام ، ولذلك يحتاج إلى صبر أكبر ، وإلى صبر أطول ، لأن غريمك أمامك ، ونفسك تصلبك ، بالانتقام منه ، ولذلك يفرق الله سبحانه وتعالى بين الصابرين فيقول سبحانه وتعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الأنعام ١٠٦] ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى ٤٠] ووجود اللام هنا يدلنا على أننا نحتاج إلى الصبر على غريم لنا ، وإلى قوة إرادة وعزيمة حتى نمنع أنفسنا من الانتقام .

والسر له دافع ، فمن الناس من تأتيه أحداث شديدة فيظهر أمام الناس أنه أقوى من لأحداث التي لا تستطيع أن تدل منه ، وأنه حلد ، وأنه صبور فهذا صبر ليس لابتغاء وجه الله ، ولكنه صبر ليبين نفسه أنه فوق الأحداث ، أو صبر أمام أعدائه حتى لا يشمتوا فيه ، فقد قال الشاعر

ونجدي للشامتين أريهم أني لرب الدهر لا أتصعصع

ولكن الحق سبحانه وتعالى يريد منا أن نصر ابتغاء وجهه الكريم . فعندما ترى أمرا يحدث لك فاعرف أن فيه خيرا كثيرا ، واعلم أن لله فيه حكمة ، ولو أنك حيرت بين ما كان يحب أن يقع وبين ما وقع لاحترت ما وقع .

إذن فالذي صبر ابتغاء وجه الله ينظر إلى ماطر الحكمة في مورد القصاء عليه ، ولذلك يقول أحمدك ياربى على كل قصائك ، وجميع قدرك حمد الرضا بحكمك لليقين بحكمتك هذا تيقن بالحكمة فلا تأخذ الأمور بسطحية



ألوان الصبر

إن الصبر في البأساء هو الصبر على ما يعترى الإنسان من مؤس أو فقر ، أما الصبر في لصراء فهو الصبر على آلام البدن من مرض أو علة أو عاهات ، والصبر حين البأس هو الصبر الذي يطلق على الصبر والمصيرة في القتال أثناء الالتقاء بالعدو .
محس أمام ثلاثة ألوان من الصبر .

الأول . صبر على حال مؤس أو فقر .

الثاني . الصبر على الابتلاء في البدن

الثالث . الصبر في لقاء العدو .

ولذلك يروى أن النبي الكريم ﷺ قال الله تبارك وتعالى :
استبيت عدى المؤمن فلم يشكى إلى عُوَّاده أطلقته من إسرارى ثم
أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل
معنى ذلك أن الإنسان إذا أصابه الله بأمر من أمور الابتلاء الذي
يؤلم ، ولم يتدمر العبد بالشكوى إلى صبر على ذلك الابتلاء فإن
مات فإن الله تعالى يعفر له ويرحمه ، وإن عافاه كادت عاقبته بلا
دس

لكن لا يحب أن يفهم من ذلك أن يستسلم الإنسان للأحداث أو
الانتلاءات دون أن يبحث عن حلول لها عند الأطباء مثلاً إن
كانت مرضاً، أو أن يأخذ بأسباب الله لإزالة هذه النكبات ، علينا
أن نفهم أننا يجب أن تأخذ بأسباب الله دون ضجر عما يمر علينا
من أحداث



البر

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة ٢] فما هو البر ؟

البر ما اطمأنت إليه نفسك ، والإثم هو ما حاك في صدرك وخشيت أن يطلع عليه أحد ، بمعنى أن الأمر الذي تفعله وتحاف أن يطلع عليه الناس ، هو الإثم ، لأنه لو لم يكن إنما لأحست أن يراك الناس وأنت تفعله .

إذن يقول الحق سبحانه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ هو أن كل جماعة من الناس تأتي لتتعاون على مشروع خيري فنقول لها فليبارك الله لك وشهد عني يديك ولكن نحذر من شيء واحد هو ألا تجعلى لجمعيةك نشاطا يسب إلى غير دينك ، مثال ذلك تلك الجمعيات المسماة - «الروتاري» أو ما شابه ذلك من الأسماء المشوهة والوافدة إليها من العرب ويقال إن نشاطها خيري ، لماذا لا تقدمون الخير مادام منكم وإخوانكم باسم الإسلام .

إن الخير كل الخير ألا سحرط في هذه الجمعيات فإن بدا فيها خير طاهر فما تنطه من شر أصعاف مضاعفة ، وإن كان لواحد ما طاقة على العمل الخيري فليعمل ذلك من حلال دينه وعقيدته .

وليعلم كل إنسان أن الإسلام طلب ما أن تكون كل حياتنا للخير
وذلك ما يجب أن يستقر في الأذهان حتى لا يأخذ الطر الخفا
كل من يصيبه الخير من هذه الجمعيات أن الخير قادم من غير دين
الإسلام أن من أمير ما يميز المؤمن ﴿ كانوا يمارعون في
الخيرات ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

وليعلم كل مسلم أنه ليس فقيرا إلى القيم حتى يتسولها من الخارج ، بل إن في دين الإسلام ما يغنيا جميعا عن هؤلاء ، فإذا كنا نعمل الخير ، ونقدم الخدمة الاجتماعية للناس ، فلماذا لا نسميها بسميتنا نحن ، ونأخذ أهدافها من دينا نحن ، لماذا نجرى وراء كل ما هو غربي ؟

وَنَقْرَأُ جَمِيعًا قَوْلَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا
مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[فصلت ۶۳]



التعاون على البر

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة ٢] .

الحق سبحانه وتعالى يريد منا أن نسمى الخير ونمنع الهدم ، وما دما نتعاون على الخير فعلى كل منا أن يعرف أنه لا يستطيع وحده أن يقيم كل أنية خير . إنا سأل الفقير فنحده أحيانا صاحب ثوب واحد ، ويتناول حبة واحدة ، وعندما تسأله من أين تأتي برغيف الخبز فإنه يشير إلى النقال الذي أعطاه هذا الرغبة وهذا يبعثنا إلى أن الله قد سخر هذا الناع أن يأتي بالخبز ليشتري منه كل الناس ، ولو سألت الناع من أين أتيت بالخبز الذي تبيعه؟ لقال لك إنه من الخبز

وعندما نذهب إلى المحزن فنجد بعض العمال يحملون الدقيق وآخر يحرق ، ولو سألت صاحب المحزن من أين أتيت بالدقيق إلى المحزن؟ لقال لك من المطاحن .

وفي المطاحن نجد عشرات العمار والمهندسين يعملون من أجل طحن الدقيق ، وهذا يفتنا إلى قدرة الله سبحانه الذي سخر بعضا من الممولين الذين اشتروا هذه الآلات الصالحة التي لا يستطيع فرد واحد أن يشتريها بمفرده ، وهذه الآلات الضخمة

قامت بإنتاجها معامل ومصانع ضخمة فيها الكثير من العلماء
الأفذاذ الذين قاموا بدراسة الحركة والطاقة من أجل تصميم هذه
الأجهزة .

إن الإنسان عندما يأكل رغيفا واحدا يعلم أن هناك عشرات من
الدول والأفراد يعملون من أجل هذا الرغيف ، وتلك مشيئة الحق
سبحانه وتعالى من أجل تنظيم كل حركة الحياة ، فالبقال الذي
عرض الخبز عاود الناس ، وكذلك الخباز ، ومن قبله الطحان
والعجائن ، والذي استورد الآلة ، والذي صمم الآلة والكلية التي
علمت المهندس الذي صممها .

إذن فكل يتعاون من أجل رغيف الخبز ، ولا أحد منا يفكر
في هذا الرغيف إلا ساعة أن يحوج ، فحركة الحياة كلها تم بناؤها
بالتعاون بين خلق الله كلهم ، فالكل مسخر لخدمة الكل .



كظم الغيظ

يقول الحق سبحانه وتعالى في وصف المتقين ﴿الَّذِينَ يُتَّقُونَ فِي
السَّرائِرِ وَالْأَصْرائِرِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران ١٣٤]

ي من صفات المتقين كظم الغيظ ، فعندما جاء إلى الرسول ﷺ
حمر مقتل عنه حمرة وقالوا له : إن هذا انتزعت كبده وأكلته ،
فسأل رسول الله ﷺ هل مضعتها ؟
قالوا : لا لفظتها

لقد جعلها الله عصية عليها ، فقل رسول الله ﷺ ما كان لله
ليعدب بعض حمرة في النار كأنها هي ستذهب إلى النار ولو
أكنتها لتمثلت في جسده خلایا كبده وعندما تذهب هدا إلى النار
فمعنى ذلك أن بعض حمرة قد دخل النار ، لذلك فكان لابد أن
تكون كبد حمرة عصية عليها وتلفظها ولما كان مقتل حمرة رضى
الله تعالى عنه من مواقف التي سست ألماً شديداً لرسول الله ﷺ ،
قد ﷺ : لأن أظفري الله بهم لاقتلن منهم سبعين ، وهنا جاء
قول الحق ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ﴾

ي الحق سبحانه وتعالى يأخذ دروة الحدث وقمته في رسول الله
من أكثر شيء اغتاط منه ، فيرشده سبحانه ويعلمه ، وينزل عليه

لقرآن الكريم وفيه ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [الحل ١٢] .

ذلك حتى نعرف أن الله لا يفعل لأحد ، لأن الامعان من صفات الأعيان ، لذلك أنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ فكان كظم الغيظ وكانت التوجيهات الالهية لرسول الله ﷺ في أحداث أحد ثم بعد ذلك يشيعها الحق قصية عامة لتكون في السلم كما كانت في الحرب ، ولتكون أيضاً معلماً ومرشداً للناس للاقتداء في مراتب اليقين

في الأمور المعوية مأخوذة من الحسيات ، فأصل الكظم أن تملأ القرية ، والقرية هي وعاء نقل الماء عند العرب مصنوعة من جلد مقلوب ، فإذا مئت بالماء شد على رأسها ، أي ربطت ربطاً محكمًا عند فوهتها بحيث لا يخرج منها ما فيها ، وهذا يسمى كظم القرية ، أي ملؤها وربطها بشكل جيد

واقربة بطبيعتها لينة ، فلو وضعت على ظهر الدابة أو حملها راحل دون كظمها حيث يدفع الماء خارجاً منها ، ولكن كظم القرية يجعل الماء لا يخرج منها .

كذلك كظم لغيظ يصع في النفس الشرية هياحاً ، ولا يمنع له الهياح في النفس ، لأنه انفعال طبيعي ، وهذه الانفعالات الطوعية لو لم يردها الله لمنع أسبابها في التكوين الإنساني ، ولكن

الحق يريد لها لأشياء ، مثال ذلك الغريزة الحسية فيريدها الله لبقاء النوع ولكنه يهديها .

وكذلك اغيظ ، فهو طبيعة بشرية ، والإسلام لا يريد من المؤمن به أن تكون عواطفه في قالب من حديد، ولكن الإسلام يطلب من المؤمن أن ينفع للأحداث الانفعال المناسب للحدث ، الاصعب المشعر ، لا الانفعال المدمر

وقول الحق سبحانه وتعالى . ﴿وَلْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [ال عمران ٢٤]
بين أن هناك فرقا بين الانفعال في ذاته لذى يبقى هي النفس وتكظمه ، وبين العفو ، فالعفو هو . أن تخرج الغيظ من قلبك ، وأن تمحو كل أثر لما جرى ، وكأن الأمر لم يحدث ، وهذه مرتبة ثانية . أما المرتبة الثالثة . فهي أن تتفعل انفعالا مقابلا فعندما تريد أن تعاقب فأنت تستبدل ذلك بالإحسان إليه .

إذن . ففي الآية ثلاث مراحل :

الأولى : كظم الغيظ .

الثانية . العفو

الثالثة أن يتجاوز الإنسان الكظم والعفو بأن يحسن إلى المسيء إليه . . وهذا هو الارتقاء في مراتب اليقين .

ولكن ما معنى الارتقاء في مراتب اليقين ؟

إنه عندما لا تكظم غيظك وتفعل ، فالمقابل لك أيضا أنك
لاستطيع أن تضبط انفعالك بحيث يساوى انفعاله ، ويكون
المقابل لك ممتلئاً باحده والعصب ، بل قد يظل الغيظ آنذاك
دامياً، لكن إذا ما كظمت الغيظ ، انخفض هو المقابل لك
الغضب وبذلك ستنتهي المشكلة .



المعاملة بإحسان

الحق سبحانه وتعالى أمرنا بمعاملة الوالدين بالإحسان ، لأنهما السبب المباشر في وجودنا ، وكما ربي الله عباده على النعم ، فالولدان مكلفان من الحق أن يرزقا الوالدين صغيرا ، وإحسان الوالدين هو الأمر الذي يجب أن تزيد فيه الرعاية عن المطلوب ، فليست رعاية الوالدين مجرد نفقة مادية يؤديها الإنسان على كره منه ، إنما هي القيام برعايتهما ما يرتفع ويزيد عن حدود الرعاية التقيدية ، وإذا كان الله تعالى فرض على كل مؤمن أن يعمل بحسبه ، وإذا كان الله تعالى فرض وأكده على ثلاث طوائف هي :

الطائفة الأولى الوالدان :

إن رعاية الوالدين أمر لا يستحب فيه القيام بالنواحي في أقل الحدود ، وإنما يجب أن يكون أعلى وأكثر من المطلوب ، وحتى يفهم معنى الإحسان فلا أن يعرف أن الذي يصلي المفروض الخمسة هو إنسان أدى ما عليه ، ولكن إذا جاء في الليل وصلى عشر ركعات أو عشرين ركعة طلباً في ريادة في الثوبة والأجر من الله تعالى ، فذلك ارتقاء من مرتبة الأداء إلى مقام الإحسان وهو الذي يفتح للإنسان المؤمن الود مع الرحمن سبحانه وتعالى

وبذلك نجد الله سبحانه وتعالى يقول عن أصحاب مقام الإحسان ﴿إِنَّ الْمُسْقِينَ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٌ ۖ أَحَدِينَ مَا اتَّاهُمُ رَبُّهُمْ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١٦) كَانُوا قَلْبًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَيَالِ الْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٩﴾ [الذاريات]

الله تبارك وتعالى يوضح مرتبة الإحسان فيصف سبحانه أهلها بأنهم لا يقومون فقط بما فُرض عليهم من فرائض ، بل يزيدون عليها ويدخلون بأنفسهم مقام الإيمان ، ثم يترقون بكثرة الطاعات وعمى الحيرات ومراقبة الله تعالى فى كل أمر ويدخلون إلى مقام الإحسان

إلهم لا يقومون إلى الصلاة فى ميقاتها فقط ، ولكن يزيدون عليها بالسوا ، ولا يقومون بالفرائض فقط ، ولكن يزيدون عليها بالاستعمار والذكر والتضرع إلى الله تعالى فى السَّحَر ، ولا يؤدون الزكاة فقط ، ولكنهم يعتبرون أن أى مال لهم هم مستحلفون فيه ، ويعتبرون أن للسائل والمحروم حقاً فيه وهكذا يكون الإحسان .

إن الله أمر بالإحسان للوالدين وهو أن يقوم الإنسان بما يتجاوز ما هو مفروض لهم خشية لوم الناس ، بل هو الارتفاع بمعاملة الأب والام إلى مقام الإحسان ومرضىة الله تعالى ، ووفاء بحقوقهم عليه .

الطائفة الثانية : ذوو القربى :

إن الحق سبحانه وتعالى يحرص على السعى فى طلب الرزق ويرغب فيه ، ليعود بالنفع على المجتمع كله ، فعندما يعمل الإنسان عليه أن يَجِدَ فى عمله ليعود ثمرة عمله عليه وبفيض منه ما ينفع على والديه وأقاربه ، ليس هنا فحسب فكل ضعاف المسلمين ، وأبناء السبيل يجب أن يكونوا فى باله حينما يسعى للرزق وعندما يعمل كل إنسان بهذا الفكر فلا بد للمجتمع كله أن يرتقى ، ولسوف نجد دوائر الأقارب ترقى فى مستوى إنسانى لا يسمح بفوارق شاسعة فى مستويات الحياة ، وعندما تترقى دوائر القربى وترده العلاقات الانسانية فإنه ينقى النفوس من جشع الثراء ولو على حساب أقرب الأقربين ، أو جشع تدمير الآخرين ، ومثال ذلك تلك السلسلة من العمارات السكنية التى تنهار من وقت لآخر التى أقامها الطمع الجاهل ، واستبد بأصحابها الجشع القاتل فأصاب المجتمع بكوارث ، إن تم علاجها ماديا فسوف تأخذ وقتا لعلاج آثارها النفسية ، وذلك لغية الإيمان فى قلب من أقامها ، وصاع الضمير فى سبيل الحرص على سرعة الثراء مما أودى بحياة ساكنى هذه المباني إلى الهلاك .

إن الإحسان فى معاملة ذوى القربى يجعل من المجتمع الإنسانى مجتمعا متكافلا متآزرا فلن يجد فقيرا يعانى العوز ، ولن نجد مسكينا إلا فى أقل القليل ، وبذلك لنا أن نلاحظ أن الحق سبحانه

٤٤ المعاملة بإحسان

وتعالى لم يشرع نظام الزواج وعلانيته إلا ليضمن سعادة الأفراد والمحافظة على الأسباب وضرورة التكافل الاجتماعي، فيجعل من الإنسان مسئولية إيمانية هي رعاية والديه وأقاربه، فلن نجد في دائرة لقربى لرجل أعطاه الله المال الكثير وهو حسن الإيمان من يشكو لعوده، لأن الارتفاع إلى مقام الإحسان يتطلب من الغنى أن يرضى حق الله في ذوى قرباه .

الطائفة الثالثة اليتامى .

الإنسان اليتيم هو الذي فقد الأب لمُسئول عن الرعاية مادياً ومعنويًا . بينما نجد في الحيوان اليتيم هو من فقد الأم ، ذلك أن الابن عند الحيوان يعتمد في نموه وطعامه وتدريبه على الأم ، كما أن سبب الأبناء في الإنسان يكون لأبائهم ، أما في الحيوانات فيصعب أن نجد هذا السبب ، ذلك لأن الحيوانات لا تعرف نظام الزواج الذي كرم الله به الإنسان .

والأم هي المجتمع الإنساني ترعى وتعطى حبا وقيما ، والأب يعطى قدوة في السعى والحصول على الرزق الحلال ، ونحن نرى في هذا العصر الكثير من النساء متخليات عن الأبناء ، ويرى الكثير من الآباء مشغولين عن أبنائهم ، كل ذلك جريا وراء بهج الحضرة الغربية التي يأخذون منها القدوة في السلوك غير الناضج وننسى أن نأخذ منها بأسباب العلم الذي يمكن أن يرتفع مجتمعاتنا إلى مستوى المجتمعات المتقدمة تكنولوجياً .

إن مهمة الأم في الحياة شاقة فهي حمل ورعاية ورعاية لمدة ثلاثين شهراً ، لقد حملته كرها ووضعتة أنما ثم تعهدته في مهده بالعناية والرعاية واحتضنته حتى يسبح سب النضح التي يصح فيها قادراً على الأخذ عن أبيه ، وهي في ذلك كله تعطي بحسن وحب ورقة مشاعر

كذلك مهمة الأب في الحياة شاقة إنه قدوة سلوكية للأولاد ،
ورعاية كاملة عاطفيا وعقليا ، لذلك فالرحمة واجب إيماني من
الأب لابن لأبويه



الحكمة

ب. كلمة الحكمة تطبق في الأصل على قطعة الحديد ، التي توضع في فم الحصان لتلجمه حتى يتحكم فيه الفارس ، ذلك أن الحصان حيوان مدلل يحتاج إلى ترويض فقطعة حديد التي توضع في فمه نجعله محكوم من صاحبه

والحكمة ضد السفه ، والسفه كما نعرف هو أن نصنع الشيء دون درية ، وهكذا تكون الحكمة هي أن يوضع مجال لكل حركة لتسجم مع غيرها .

فالكون محكوم بالحق سبحانه وتعالى ، وهو الحكيم لعليم الذي يصنع لكل كائن إطاره وحدوده وحكمة في عموم حركة الحياة

- والحكمة في النحو أن تصعب الكلمة في مكانها ، وياعزائها
- والحكمة في الفقه أن نستنتج الحكم الصحيح
- والحكمة في الشعر أن نوزد الكلمات على التفعيل
- والحكمة في الطب أن نعرف تشخيص المرض والدواء المناسب له

والحكمة في الهندسة هي أن تصمم المستشفى وفق احتياج مريض ولطبيب إلى أجهزة للعلاج وأماكن لإجراء الجراحة ، وكذلك تصميم أسبوت الإضاءة وبقية المرافق ، وتحديد أماكن المصاعد

ومحارن الأدوية وأماكن إعداد الطعام ، وأماكن القهوة ، ثم
أماكن العلاج الخارجى

وهذا التصميم للمستشفى يختلف بحكمته عن تصميم منزل
سكنى ، وتنظيم عمارة للسكنى يستوجب توزيع الشقق لراحة
السكان جميعاً ، وحكمة بناء منزل تختلف عن حكمة بناء قصر ،
أو مكان عمل .

فالحكمة إذن . هى التوفيق ، فإعداد مكان ليصلح لعمل معين
أو وظيفة محددة يختلف عن أخذ مكان للسكن أو ليكون ديواناً
حكومياً

إذن فالحكمة هى وضع الشيء فى موضعه ، تشهد ذلك فى
أى آلة من الآلات ، فالآلة على سبيل المثال قد تكون مكونة من
خمس قطع وكل قطعة ترتبط بالآخرى بمسامير أو غير ذلك ،
ومما دامت كل قطعة فى مكانها فإن الآلة تسير سير حسناً ، أما إذا
توقفت الآلة لخروج قطعة عن موضعها أو كسرهما فإننا نستدعى
المهندس ليضع كل قطعه فى مكانها فتعود الآلة للعمل باستقامة ،
ومثال ذلك ما يكون فى الوحد منيا على حكمة فلا ينشأ فيه
فساد ، فإذا حدث الفساد فإنه ينشأ من حركات تحدث بدون أن
تكون حكيمة .

وقد يلى على سبيل المثال كما ترى الأسلاك الكهربائية دون عوازل
فكان يحدث منها ناس كهربى ، وكلما نجد خطأ فإننا نعدل من
تصميمنا للشيء وهذه حكمة

قديما كنا نحمد جميع الأسلاك التى فى السيارة ذات شكل واحد
فكان يحدث ارتباك عند الإصلاح، لكن عندما جعل كل سلك
بلون معين فهذا ما يسهل عملية الإصلاح عند أى ارتباك وهذا
حكمة

إن الحكمة كما قلنا إذن هى وضع الشئ فى موضعه ، ومادام
الأمر كذلك فإن كل صانع يصلح لصنعتة ويقدم لها دليل الصيانة
الكامل ، ولما كنا نحن البشر خلقاً من خلق الله تعالى فهو
سبحانه أعلم بمواطن الضعف والخلل فينا ، وكيفية معالجتها ،
وسبحانه لم يخلقنا هملاً ولا عبثاً بل أرسل سبحانه الرسل وأنزل
الكتب لتعالج داءات المجتمع وأمراضه ، فأعرضت عنها وشرعنا
لأنفسنا ما يوسوس حياتنا فاختلفت الموارد وانقلبت القيم
وصاعت الأعراف بين الناس ، ودائما ما نقول إذا رأينا خللاً فى
أى مجتمع فلنعلم أن هناك شيئاً قد ناقض حكمة الله تعالى ،
وعندما نبحث عن العطب سوف نجده تماماً مثل أى عطب فى أى
آلة، فتأتى لها بالمهندس الذى يصلحها، وإذا ما حدث فساد فى
المجتمع فإننا يجب أن نرده إلى خالق الخلق سبحانه ، من خلال
كتاب يربنا سبحانه وسنة نبينا ﷺ .



العدل

كل إنسان منذ لو أدى ما فى ذمته من حق للغير لما وجد
استشاحن ، ولما وجدت الخصومة ، بذلك لا توجد فى مثل تلك
الحالة ضرورة لمحاكم ومجالس قصر المدرعات ، ولكن الحق
الذى خلق الخلق ، يعلم أن الإنسان من الأغيار . لذا فمنهم من
يفعل عر هذه لقضية قضية أداء الحقوق فينشأ عنها الفساد فى
الأرض ، لذلك قضى الحق تعالى شىء آخر اسمه « العدل » فلو
أن الفساد قد أدى حقوق الغير كاملة لما احتجنا إلى المحاكم ،
لأنه لن يوجد خلاف أصلاً

لكن الحق سبحانه وتعالى وهو أعلم بمن خلق ومن علمه أن
حقه سبغى بعضهم على بعض ، لذلك أوجد العدل للقصاص
من يبعى على غيره . وإعطاء كل ذى حق حقه قال تعالى
﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء ٥٨].

والحق لم يقل إذا اتمتم فادوا . ولكنه سبحانه وتعالى قل
﴿ إِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [نساء ٥٨]

فإذا حدثت العقدة عن أداء الأمانة ولدى يصير أداء الأمانة جلال
العقلة هو «العدل» ، فما هو لعدل ؟ .

إنا نعرف أن الأمانة هي : أن تؤدي حقاً أو متعلق حق في
 دمتك للغير ، وكر العدل غير ذلك فهو تأدية للغير ، ودمك
 يكون عن طريق الحكم ، وهذا لا يكون هناك شيء متعلق للغير
 بدمتك ولكنه شيء مكتوب أو مشهود عليه



مطلوبات الأمانة .. ومطلوبات العدل

كما أن آية أداء الأمانة عامة فلا بد أن تكون آية لعدل عامة أيضا
فقوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ﴾ [النساء ٥٨] لا تخص هذه الآية الحاكم وحده ولكنها
تخص كل واحد من الشر المكلفين ، فهو كنت محكما من طرف
قوم ، ورضى الناس بك حكما بينهم فى خصومة ما فعليك أن
تحكم بالعدل، وقد تكون لا ولاية لك على هؤلاء الناس ، ولكن
أصحاب المظلمة أو مشكلة حكموك فيها فعليك أن تحكم بين
الناس بالعدل .

إذن فلا بد أن تتمثل بمهج الله تعالى ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ
الناسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وذلك يكون فى أى أمر من الأمور حتى
ولو كان الأمر يتعلق بحق من حقوق التكريم والموهبة ، وليس من
الضرورى أن يكون الحكم بالعدل فى الأمور المادية، فهـ هو ذا
الإمام على رضى الله تعالى عنه يرى غلامين يحتكماز إلى الله
احسن ليحكم بينهما فى أمر هو : أى الخطيئ أحمل من الآخر ،
خط الاول أجمل أم خط الثانى ؟ وهذا أمر قد ينظر الناس إليه
على أنه أمر لا قيمة له ، فما الذى يستفيدـه واحد منهما بإعلان

تفوقه على الآخر في كتابة الخط؟ لكن الإمام علياً رضي الله تعالى عنه رأى في هذه المسألة أمراً مهماً، لأنها شعلت الطفليين ، وصار كل واحد منهما يطلب معرفة ما يميزه عن الآخر في كتابة الخط فقال الإمام علي لابنه الحسن رضي الله تعالى عنه يا بني انظر كيف تقضي في هذا الحكم ، والله تعالى سائلك عنه يوم القيامة .

هذه الصورة تعطينا ضرورة نحري العدالة حتى في أبسط الأمور . وفي العصر الحديث نرى أنه قد وضعت قواعد محكمة للحكام الذين يقومون قضاة حتى ولو في المباريات الرياضية المختلفة سواء كرة القدم أو الملاكمة أو غيرها فلكل لعبة قوانين يترتب عليها قياس المهارات المختلفة بين البشر ، ومادام الواحد منا قد قبل أن يكون قاصياً حتى ولو كان في اللعب فعليه أن يعرف كيف يحكم بالعدل ، ولذلك نحن نرى غضب المتفرجين إذا تغاضى الحكم عن صربة حذاء صحيحة لصالح فرقة من الفرق، ونتعجب عندما نرى أن المجتمع يصمت عند حدوث خلل في الأمور الجادة في الحياة ، ففي اللعب نتمسك بقوانين الحد ، ولكن نحن تركنا الحد بعد أن حردناه من قانون خالفه حل وعلا ، فلو اعتنينا بالحد كاعتنائنا باللعب لصارت أمورنا إلى خير عميم .

إذن . فالعدل هو حق في دمة العير للغير ، ونحن أمناء عليه

وعليه أن نتحرى لصواب فيه قدر الاستطاعة لقول الله تعالى
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

[النساء . ٥٨]

وقوله تعالى ﴿نِعْمًا﴾ هي أنه لا يوجد أفصل من هذه العظة
فهى نعمة تستقيم بها حركة الحياة ، وهى نعمة أداء لأمانة
واحكم بالعدل بين الناس ، فإذا أدى الناس الأمانة فلا براع ، ولا
خلاف ، وإذا قاموا بالحكم وظهر أنه خلاف العدل ، فالعدل
يهيه ، وإذا كان فى المجتمع عدل يحرس حقوق الناس عند الناس
فلن يجرؤ ظالم على الظلم .

فالدقة فى العدل تورث ميزة الأمانة إن غفل الناس عنها ،
فالذى يغرى لناس بالظلم هو أن بعض الأحكام الدنيوية لا تأتى
بالعدل ، فيقال : إن فلانا كان له سابقة وفعل مثبها ولم يتبها
أحد ، وبذلك يتم الإعرء بالظلم . لكن لو أننا فى كل
صغيرة وكبيرة وجدنا الحكم يردع الظالم ويرد الحق لصاحبه
لانتشر العدل والأمانة ، فذلك قول الحق سبحانه وتعالى . ﴿إِنَّ
اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ وقد سميت هذه المسألة عظة ، والوعظ هو
ترقيق القلب للميل لى الحكم ، لأن الله فى أمره وهيه لا حاجة له
فى أن يفعل الناس أو لا يفعلوا ولكنها مصلحة البشر مع الشر

ومعلوم أن نحس ألوان الأمر ما لا يعود على الأمر بفائدة ، لأن في عودة الفائدة على الأمر قد يشكك في الأمر ، وقد يوجد بسبب الأمر ولا يكون لأمره منفعة لنفسه ، ولكنه لا يكون واسع لعلم ، ولا واسع الحكمة ، لكن الحق سبحانه وتعالى ليس له مصلحة في الأمر ، وهو سبحانه واسع العلم والحكمة ، لذلك فالعظة منه هي العظة العظمى وهو سبحانه لا يتنفع بأمره .

ن قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ نَعَمًا يُعْطِيكُمْ بِهِ ﴾ أي من نعم ما يعظكم به الله هو أن تؤدي الأمانات إلى أهلها وأن تحكموا بين الناس بالعدل وهذا مجد مدحوظ في الأداء السياسي في القرآن الكريم فقول الحق ﴿ أَنْ تُوَدُّوا ﴾ هو أمر للجماعة ، وهذا يعني أن كل واحد من الجماعة المسماة مطالب بأن يؤدي هذا الحكم أولا ، وليس الأمر متوقفا عند ذلك الحد ولكن المهمة تتعدى إلى الآخرين ، فالمهمة لا تقتصر على حفظ حقوق الجماعة المؤمنة فقط ولكن الجماعة المؤمنة مكلفة بأن تصون الحقوق بين الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم فالحق سبحانه قال ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء ٥٨] فهذا يقتضي حماية حتى لمن لا يؤمن بدين الإسلام ، ولا توجد حماية لمن لا يؤمن بدين الإسلام أكثر من هذا ، إنه سبحانه يريد منا أن تؤدي الأمانة إلى كل الناس سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين

إن كلمة ﴿الناس﴾ في أمر الحق سبحانه وتعالى تدل على عدالة الأمر من الله تعالى وهو رب الناس، كل الناس مؤمنهم وكافرهم، فمادام الله هو الذي استدعى الإنسان إلى الدنيا ومنهم المؤمن والكافر فلا أحد يخرج عن نطاق الربوبية لله، إنه سبحانه تكفل برزق الجميع، ولذلك أمر الله الكون أن يعطى من أخذ بالأسباب أن يصل إلى الغاية بالمسببات سواء كان مؤمناً أم كان كافراً... إنه عطاء الربوبية.

الله سبحانه وتعالى لم يسخر الكون للمؤمن فقط وإنما سخره للمؤمن والكافر، ولذلك طلب الحق ما أن نعدل بين المؤمن والكافر ولذلك تكون الأمانة فيه مطلوبة للمؤمن والكافر، وهى مطلوبة للدار والفاجر، كذلك صلة الرحم مطلوبة للدار والفاجر وذلك يدل على سعة رحمة الدين، ولذلك يترك الحق سبحانه وتعالى بعض الأقضية لنشأ في عهد رسول الله ﷺ فتأتى أشياء لتبين لنا بالتطبيق أن هناك فرقاً بين أن يكون الأمر نظرياً، ولكنه سبحانه يريد الأمر مطبقاً عملياً.

والله سبحانه وتعالى خلق الخلق جميعاً ويعرف عواطفهم، وأن هذه العواطف عند المؤمنين فى عصر الأحياء قد تحسنى المؤمن على حسب عبده، لذلك يشاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل فى تاريخ محمد ﷺ أشياء تحدث منه هو ثم ينزل الله التشريع على رسوله ﷺ، ويكون رسول الله ﷺ أول المكلفين به ليدل على مطلوبات الأمانة والعدل

أن التشريع في المسألة الإنسانية العامة تشريع لا يحصر المؤمنين فقط ولكن المؤمنين والكافرين ويكون ذلك إما دافعاً لهم على الدخول في هذا الدين ، وإما حسرة في نفوسهم لما يروا ما يتمتع به المسلمون من سمو أيدي وعدالة وانتصار للحق ، ولكن لو ظلم المسلمون، لقال الكافرون إن المسلمين ظلمونا ولوحدوا في ذلك مبرراً للكفر .

وتروى كتب الحديث والتفسير قصة طعمة بن أبيريق الذي سرق درعا من زيد بن رفاعه عم قتادة بن النعمان وكلاهما مسلم والدرع كما يعرف هو اللباس الذي يحمى من طعنة العدو ، ووضع طعمة الدرع المسروقة في جوال كان به دقبق ، وغفل طعمة عن وجود بعض من آثار الدقيق بين أسحة الجوال فلما حمل طعمة الدرع في الجوال تناثر الدقيق ، وترك علامات في الطريق وهو يسير من بيت النعمان إلى بيته ، وعندما وصل طعمة إلى بيته جاءه هاجس هو أن الناس قد تنبه إلى وجود الدرع عنده فذهب بالدرع داخل الجوال إلى بيت يهودى هو زيد السمين فترك الدرع عنده ، فلما فطن قتادة بن النعمان إلى ضياع الدرع خرج معلن سرقة هذا الدرع ، وسار هو وبعض من الصحابة ليتبعوا الأثر فوجدوه يقودهم إلى بيت طعمة بن أبيريق فقال طعمة أنا لم أسرق

وتسعوا الأثر ثابته فوجدوا الدرع عند زيد بن السمين اليهودي ،
وما دفع الأمر إلى رسول الله ﷺ كان طعمة بن أبيريق من قبيلة
بنى طمر ، وجاء أعوان القبيلة إلى رسول الله ﷺ فذكروا
لرسول الله ﷺ تفاصيلها وقالوا لو أصعبنا زيد بن السمين فإنه
ستتم موازنة طعمة بن أبيريق وهذه ستة لنا ولمسلمين وسمع
رسول الله ﷺ كلامهم وهو أحرص الناس على ألا توجد ستة
للمسلمين ، ولا أن يوحد بينهم نصر ، وسكت ﷺ حتى يأتيه
الوحي من ربه في هذه القصص وإذا بالأمين حبريل يزل بقوله
تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ سَمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ حَصِيماً ٥ ﴾ واستعقر الله إن الله كان عفواً رحيماً
﴿ ٦ ﴾ وَلَا تُحَادِلْ عَنِ الدِّينِ يَخْتَانُوا أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَاناً أَثِيماً ﴿ ١٧ ﴾ ﴿ ١ ﴾ [النساء]

(١) روه الترمذى [٣٠٣٦] وابن حبر لطرى فى التفسير اطر تفسير
الطرى تحقيق الشيخ العلامة أحمد شاكر . حمه الله - اخره
٩ ط دار المعارف المصرية ص ١٧٧ وصححه الألبانى فى صحيح
الترمذى [٢٤٣٢]

ولصاحب طلال القرآن تعليق على هذه القصة حدير بالاهتمام
والمراجعة .

وأيضاً للدكتور محمد جميل عارى مقالة قيمة جداً فى كتابه
«مردات القرآن الجزء الثانى عندما تحدث عن المفقير

يَدَن فاحق سبحانه أخبر رسوله ﷺ أن صاحب الحق أولى ولو كان غير مسلم ، وقد له ستغفر الله إن كان جال بحاطرك أن ترفع رأس مسلم خان على يهودى لم يخن

إِن استحياء بنى طهر من فضيحة طعمة بن أبيرق بين الناس لا يحب أن يدهيهم عن المضيحة الأكبر وهى الفضيحة عند الله فلا برءة لطعمة عند الله إذ يقول الحق سبحانه ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ [النساء ٩]

يَدَن فقول الحق سبحانه وتعالى . ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ [النساء ٥٨] هذا لقول يقتضى أن يكون الحكم والأمانة أمر شائعا بين كل الناس فلا يخص المؤمنين فقط ولكن يحصر مؤمنين والكافرين ظلما رتصوا أن يعيشوا فى دولة الاسلام .

ولذلك أمر رسول الله ﷺ من بقضى بين الناس أن يسوى بين الخصمين فلا يطر لواحد دون الآخر ، أى لا يكرم واحدا دون الآخر ، وذلك حتى يشعر الطرفين بالمساواة أمام القاصى فلا يطر انقاصى إلى طرف بحداد وعطف ، وينظر إلى الآخر بحمء

إذ النظرة يجب أن تكون متساوية ، ولذا يجد الإمام عليا رضى الله تعالى عنه قد رد لقاصى لأنه قال له : يا أبا الحسن فقال على رضى الله تعالى عنه أنت لا تصلى لأ تقصى بينى وبين

خصمى لأنك كنتى دور أد تكتيه، فالتكنية دليل المودة والتعظيم،
ورسول الله ﷺ حين يقول للقاضى: «سو بينهم فى لحظك
ولعطك» (١) وذلك حتى يعرف القاضى أن فوقه إلهاً بصير بالعباد



(١) عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ
«من استنى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم فى لحظه وإشارته
ومقعده ومجلسه» رواه الدارقطنى والطبرانى فى الكبير والبيهقى،
قال السيوطى فى الخامع الصغير إسناده ضعيف وقال شارحه
المبارى فى فيض القدير قال الذهبى فى المهدب إسناده واه
وفى رواية أخرى لمن استلى بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على
أحد الخصمين مالا يرفع على الآخر» وهذا أشد ضعفاً من الذى قبله
نظر ادمع الصغير وشرحه فىص القدير ط دار المعرفة ج ٦ ص
٢١ - ١٢ وانظر أيضاً بهايه الارب فى فنون الادب للتوبرى ج
٦ ص ٢٦٣ ط الهيئة العامة للكتاب

الأمانة

الأمانة هي ما يكون للعمر عندك من حقوق وأنت أمين عليها ،
فمن الناس من يقول : لقد أودعت عند فلان أمانة ، وهذه
الأمانة لو كنت بإيصال فهي ليست أمانة ذلك أن الإيصال دليل ،
ولو كانت هذه الودعة أمام شهود فليست أمانة

الأمانة إذن هي أن يودع إنسان إنساناً آخر شيئاً ، وأمانته هي
حين يطلبها صاحبها أن يؤديها أو ينكرها .

إذن فالأمانة هي تحقيقها شيء يقبضه الإنسان عن يأتمه ولا
حجة على الإنسان إلا ذمة الإنسان فإن شاء أقر ، وإن شاء أنكر

ومن الأمانة أن الإنسان خلق مختاراً فإن شاء قال لا إله إلا
الله ، وإن شاء والعباد بالله لقال غير ذلك مثل الذين كفروا
وقسوا . ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ [المائدة ٧٣]

وعلى ذلك فالأمانة التي أعطاها لنا الله هي أمانة الاختيار فقد
قال سبحانه ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البعد]

إنه سبحانه قد يسر لنا السبيل للاختيار ، لقد خلق الحق سبحانه
وتعالى الناس للإنسان وهو صالح لأن يقول لا إله إلا الله ،
وصالح أن يقول مثل الكافر إنه ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك

عنواً كبيراً ، واحق خلق للإنسان ليد وإن شاء ضرب باليد إسدا
آخر ، وإن شاء أن يزيل بها حجراً من الطريق ، أو يربث بها على
كتف يتيم ، ولحق خلق للإنسان الساقين إن شاء ذهب بهما إلى
المسجد ، وإن شاء ذهب بهما إلى أى مكان يعصى الله فيه
وهذه هى لأمانة التى عرصت على السموت والأرض فأبين أن
يحملنها ، وحملها الإنسان .



جهالة الإنسان

حين خلق الله الإنسان أخذ عليه العهد والميثاق بأنه ربه وحاقه
وعليه أن يعبد وحده ولا يشرك به أحداً وأقر الإنسان بذلك ، ثم
أعطاه الله تعالى أمانة أن يحافظ على هذا العهد طواعية وحباً وإن
شاء بكسر عنه ، واقرأ قول الحق سبحانه ﴿ وَإِذْ أَحَدُ رِبُّكَ مِنْ
بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا
بلى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا عَافِينَ ﴾ [الأعراف ٧٢]
أودع عند الإنسان أمانة ، فإن شاء الإنسان فعل هذا أو فعل دا ،
لذلك قال الحق سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ
كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحراب ٧٢] .

كل الكائنات قد رفضت أن تحمل الأمانة ، لأن الكائنات لم
تضمّر لنفسها حسن الاختيار وطلبت الكائنات أن يحلقها الله
مسخرة بلا إرادة اختيار ، ولذلك نجد الكونيات المسخرة كاللآلئ
والأرض والشمس ليس لها حيار في شيء فهي مسخرة ، ولم
ترض أن تكون مختارة .

وثمة فارق بين أن يقول كائن أن تحمل الأمانة وبين أن يقول آخر
أن ساعد الأمانة كما سيريد الله ، ومادم الكائن سيسفده كما يريد
له فمادم لا يفعل الإنسان ما أراده الله عنه؟ الإنسان لم يأخذ

أمانة الاختيار إلا طمعا في أن يكون حرا في أن يفعل ذلك أو لا يفعل ، ولو كان الإنسان كما يقول قد أخذ الاحير ليمده وفق مردات الله ، فلماذا لم يقل يارب أنا لا أريد أن أكون محتارا واحعلنى مقهوراً لذلك لا بد أن يكون للإنسان في الاختيار مارب آخر ، إن السماء والأرض والخال وكل الكونيات لم تقبل تحمل الأمانة خشية عدم القيام بحقها ، ولنته جيدا إلى أن هناك فرقاً بين الأمر ساعة أن يتحملة الإنسان ، والأمر ساعة أن يؤديه ، فعندما يقول لك قائل : أنا معى مائة جنيه واحمضها لى عندك حتى لا أبددها ، فالإنسان المتلقى لهذه الأمانة لا يتهمه أحد بدمته وهو عندما قل المائة جنيه كأمانة فهو فى بيته أن يحتفظ له بها ويؤديها فى أى وقت يطلبها منه ، لقد ضبط الإنسان نفسه ساعة تحمل الأمانة ، ولكن هل يضبط الإنسان نفسه عندما يطلب منه أن يؤدي الأمانة قد تكون الدنيا ضاقت عليه وعلبته الظروف فأضاع الأمانة فى مستلزماته أو مستلزمات بيته

إذن . فهناك فرق بين أن يقدر الإنسان على نفسه وقت التحمل ، ولكن لا يقدر على نفسه وقت الأداء لذلك فالكونيات كالجبال والسماء والشمس وغيرها قالوا قد نحمل الأمانة ولكن قد لا نقدر عليها وقت الأداء لذا ﴿ فَأَبِينْ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنْ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحراب ٧٢] ظلم نفسه لأنه أدخلها فى متاهة التحمل ، وجهول بما يكون عليه عند الأداء



الأمانة التي أعطاها الله لخلقه

الأمانة كما قلنا هي حق في ذمة إنسان لإنسان آخر عليه أن يكون مستعداً لأداء الحق ساعة الطلب ، وحين يعطي إسماعيل إسقاطاً شيئاً يصير الآخذ مؤثماً فإن شاء أدى ، وإن شاء لم يؤد لكن هناك أمانات أخرى لم يعطها إنسان لإنسان إنما أعطاها رب الناس لكن الناس ، من هذه الأمانة التي هي عطاء من الله ، العلم الذي أعطاه الله للناس فهو أمانة فلا تقل إن ما تعلمه بالآحرير هو دين عليهم إنما هو أمانة من الله عليك أن تؤديها لخلقه الذين لا يعلمون ، كذلك الحلم أمانة ، والشجاعة أمانة ، وكل صفات الخير التي فيك هي أمانة وعليك أن تؤدى صريبتها لخلق الله تعالى .

والأمانة في المال قد تكون واصحة ، أما في بقية الأشياء فعلى الإنسان أن يعرف أنه مؤتمن عليها ، لأن صاحبها هو الله وهو حافظها فيك . لقد أمر الله الإنسان على المواهب المختلفة حتى يؤديها للغير ، فينتفع المجتمع الإنساني كله

بـ . وليس من الضروري أن تكون الأمانة هي من صاحب مساوئ لك لتردها إليه ، ولكن الأمانة هي ما تصير مؤثماً عليه من حائق أو من مخبوق

إذن بهذا المعنى لأمانة أمرها واضح فالأنوهمية حق لله وحده ، فعليك أن توحيده ولا تشرك به أحداً وهذه أمانة عندك ، والترامك أمر النبي ﷺ أمانة ، وعيرتك على دينك ومجتمعك

أمانة وفيما حاك الله به من المواهب أمانة ، فكل إنسان أمين على موهبته فليؤدها إلى غيره ، وليعط أثرها لمن لا توجد عنده هذه الموهبة ، لقد أعطى الله لهذا قوة في العضل ، ولثالث قوة في الفكر ، ولثالث قوة في الحلم ولرابع قوة في العلم وغير ذلك من المواهب ، كل هذه أماني أودعها الله في خلقه ليكون أداؤها محققا للتكامل بين الخلق ، فحين يؤدي كل إنسان أمانته لغيره من البشر يصح عند كل إنسان مواهب غيره من البشر

وقمة الأمانة أن يعد الإنسان خالقه ولا يشرك به أحداً ، والأمانة في التكالييف التي كلفك الله بها فيحب على كل إنسان أن يؤدي ما كلفه الله تعالى به ، وليعلم الإنسان أن هذه التكالييف أمانة للغير عنه ، فحين يكفك الله بالأمانة فهو مسحانه كلف الغير كله ألا يسرقوك

إذن فكل أمانة عند الغير هي أمانة عندك فإن أديت المطلوب للأمانة عندك أدى المجتمع الذي يحيط بك لأمانة التي عنده لك والأمانة إذا صاغت كد ولابد من العدل ، لأن الإنسان إذا ما عثر في مجتمع يؤدي كل واحد فيه ما للغير عنه لما احتجنا إلى التقاضي ، لأن التقاضي بما يشأ من خصومة وخلافات ، ولتقاضي منه أن واحد أنكر حق غيره ، فيذهب الاثنان إلى المحكمة لتحكم بينهما بالعدل

إذن فإد أدى كل واحد ما في دمه من حق للغير لما وجد نصيباً ، ولما وجدت خصومة ، ولذلك لا توجد في مثل تلك الحالة ضرورة لذهاب إلى المحاكم للعدل بين الناس

استقبال قضاء الله

الحق سبحانه وتعالى هو الذي خلق الصبر كما هو حائق الصبر ،
والصبر ينبت الإنسان إلى نعم الله تعالى في الدنيا فإذا ما رضى
الإنسان وصبر فإن الله يرفع عنه الضر ، فالصبر لا يستمر على
إنسان إلا إذا كان غير راضٍ بقدر الله

والحق سبحانه وتعالى لا يرفع قضاء قصاه في خلقه إلا بعد أن
يرضى به الخلق ، فالذي لا يقل بقضاء الله في المصائب مثلاً
تستمر معه المصائب ، أما الذي يريد أن يرفع الله عنه القضاء
فيفعل رضى بقضاء الله تعالى ، ويحمد الله على كل ما
أصابه

والحق سبحانه يعطين تمارح على مثل هذا الأمر فهو ذا الخليل
إبراهيم عليه السلام يلقى الأمر بدين الله الواحد سمع على
السلام ، وهذا الأمر قد يره غير المؤمن بقضاء الله شديد القسوة ،
وسر هذا فقط . بل على إبراهيم أن يدع الله نفسه وهذا
ارتقاء في الأسلاء ، وهم يلتزم إبراهيم عذراً ليهرب من قتلاء
له له ، ولم يقل به محرد رؤيا وليست وحياً فقد جاء الأمر في
رؤية أراها الله لإبراهيم عليه السلام

إذن فنحن البشر بطيل على أنفسنا أمد القضاء بعدم قبولنا له، لكن لو سقط على إنسان أمر بدون أن يكون له سب فيه واستقبله من محبيه عليه وهو ربه بمقام الرضا فإن الحق سبحانه وتعالى يرفع عنه القضاء، فإذا رأيت إنسانا طال عليه أمد لقضاء فاعلم أنه فاقد الرضا.



الإِنْفَاقُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ

يقول الله تعالى ﴿ وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمِثْلِ حَنَّةٍ رَّبُّوهُ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أَكُلَهَا صَعْفَيْنِ فَإِذَا لَمْ يَصِبْهَا وَابِلٌ فَظُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة ٧٠٠]

إن ابتغاء مرضاة الله في الإنفاق يعنى حروح لرياء من دائرة الإنفاق.

ب. لإنفاق يكون أولاً إيفاداً في سبيل الله ، ويكون ذلك باعتقاد لئس حارم بأن الله سبحانه هو الذى وهب المؤمن ماله ودمه ، ولذا فكل شيء يهون في سبيل مرضاته .

راجحة تطلق في اللغة على المكان الذى يوحد به رذع كثيف أخضر يستر من يدرجه ، ومنها «جر» أى ستر فمن يدخل هذه الحجة يكون مستوراً

أخى سبحانه يريد أن يصرب لنا المثل الذى يوضح الصف الثاني من الإنفاق في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وتثبيتاً من أنفسهم الإيمانية ضد لأنفس الشهوية ، فيكون الفرد منهم كمن دخل حنة كثيفة الريح ، هذه رجة توحد في ربوة عالية محاطة بأمكة محمصة عنها فماداً يفعل المطر بهذه حنة التى توحد على هذه الربوة ؟

الله سبحانه أخبرنا بما يحدث مثل هذه الجنة قبل أن يتقدم العلم الحديث ، ويكشف أسرار المياه الجوفية وفائدتها للزراعة ، وهو أن الجنة التي في ربوة عالية لا يوجد بها مياه جوفية ، لأن المياه الجوفية إن وجدت فإنها تذهب إلى جذور النباتات الشعرية فتعسدها بالعطن ، فلا تستطيع هذه الجذور أن تمتص الغذاء اللازم للنبات فيشحب النبات بالاصفرار ويموت بعد ذلك

أما الجنة التي بربرة عالية ، فالمياه التي تنزل عليها من المطر لها مصارف من جميع الجهات المنخفضة التي حولها ، وكأنها ترتوى بأحدث ما توصل إليه العلم من وسائل الري ، إنها تأخذ المياه من أعلى أي من المطر ، فتزل المياه على الأوراق فتؤدي وطيفة أولى وهي غسل أوراق النبات ، وهذه الأوراق هي مثل رئة الإنسان مهمتها التنفس ، فإذا ما نزل عليها المطر فهو يغسل هذه الأوراق بما يجعلها تؤدي دورها فيما نسميه نحن «بالتمثيل الكلورفيلي» ، وبعد ذلك تساق المياه إلى الجذور لتذيب العناصر اللازمة في التربة لغذاء النبات ، وتأخذ الجذور حاجتها من الغذاء المذاب في الماء ، وينزل الماء الرائد عن ذلك إلى المصارف المحفصة ، وهذا أحدث اكتشاف لرى الأراضي الزراعية ، والمحصول يتضاعف إنتاجه عندما يروى بقدر .

إِذْ فَالْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جُحُورُنَا أَنْ مِنْ يَفْقَهُونَ أَمْوَالَهُمْ
 اسْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَشْيِيتَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ هُمْ مِثْلُ هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي تَرَوْنَ
 بِأَسْلُوبِ رَبَّانِي ، فَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَطَرُ الْعَزِيزُ أَخْذَتْ مِنْهُ حَاجَتَهَا
 وَتَنْصَرِفُ بَاقِي الْمَطَرِ عَنْهَا ، وَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا مَطَرٌ غَرِيرٌ قَطَلُ ،
 وَالطَّلُ ، وَهُوَ الرِّذْذُ الْقَلِيلُ يَكْفِيهَا ، لَتَوْتَى ضَعْفَيْنِ مِنْ إِنْتَاحِهَا ،
 وَإِذَا كَانَ الضَّعْفُ هُوَ مَا يَسَوِي الشَّيْءَ مَرَّتَيْنِ ، فَالضَّعْفَانِ يَسَاوِيَانِ
 الشَّيْءَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، وَلَكِنْ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ يَرِيدُ أَنْ يُوَضِّحَ أَنَّ الْإِنْسَانَ
 يَنْفَقُ مَالَهُ اسْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، هُوَ غَيْرُ الَّذِي يَنْفَقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ ،
 وَيُرِيدُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ أَنْ يَصْرُبَ لَنَا مِثْلًا يَرِيدُ الْإِنْصَاحَ لِحَالَةِ مَنْ
 يَنْفَقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ ﴿ أَيْوَدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ
 جَنَّةٌ مِنْ نَاحِيَةٍ وَأَعْنَابٌ تَنَجَّرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة ٢٦٠]

الحق سبحانه وتعالى يشركنا في لصورة كأنه يريد أن يأخذ من
 الشهادة الواضحة ، فهل يود أحدكم أن تكون له جنة من نجيل
 وأعنب تنجري من تحتها الأنهار ، وفيها من كل الثمرات ؟ إن الجنة
 بهذه الصفة فيها حير كثير ، لكن صاحبها يصيبه الكبر ولم يعد
 فيه صحة وفتوة لشباب به محاط بالخير وهو أحوح ما يكون
 إلى ذلك الخير ، لأنه أصبح في الكبر وليس له طاقة يعمل بها .

وهكذا تكون نفسه معدقة بعباء هذه الجنة لا لنفسه فقط ، ولكن
لديريته الضعفاء :
هذه قمة التصوير للاحتياج إلى الخير لا للمفسر فقط ولكن
للأساء الضعفاء ، إنا أمام رجل محاط بثلاثة أطراف :
الطرف الأول هو الحلة التي فيها من كل الخير
الطرف لثاني هو الكبير والضعف والعجز عن العمل
الطرف الثالث : هو الذرية الضعفاء

هذه الحلة هاجمها إعصار فيه نار فاحترقت فأى حسرة يكون
فيها هذا لرحل ؟ إنها حسرة شديدة ، هكذا تكون حسرة من
يفعل الخير رياء الناس

والإعصار كما نعرف هو الريح الشديدة المصحوبة برعد وبرق
وأحياناً يكون فيه نار وذلك حين تكون الشحنات الكهربائية ناتجة
من تصادم السحب أو حاملة لفضائف نارية من بركان نائر هكذا
يكون حال من يفكر ماله رياء الس . . ابتداء مطمع وانتهاء يائس .
إذن فكل إنسان مؤمن عليه أن يتذكر ساعة أن يفوق هذا
الابتداء المثير للطمع وذلك الانتهاء الملىء باليأس . . إنها العاحضة
التي يصورها الشاعر بقوله :

فأصبحت من ليلة الغداة كقباض على الماء خائنه فخرج الأصابع
كلما أمرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها اقشعت ونجحت



الردية

الحسد

بسم الله واحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
الواقع المعاصر أثبت أنه كلما يترقى العلم يمنحنا فكرة ، عن أن
الشيء كلما شف أو لطف أصبح دقيقا أى يكون أكثر عنفا .

وعلى سبيل المثال : إنسان بنى بيتا فى حقن متسع فمر عليه
صديق له وقال : ألا تعرف أن هنا فى هذا الخلاء المتسع ذئبا ؟
وأوصى الصديق صاحب البيت بأن يبنى نوافذ من حديد ليمنع
الدئاب من أن تدخل عليه

ثم مرّ عليه صديق ثان فقال له . إن حديد شبابيك المنزل متسع ،
ولشعابين فى هذا الخلاء كثيرة وأوصى صاحب البيت أن يضع
ستارة من السلك .

لكن صديقا ثالثا قال لصاحب المنزل إن التاموس الفتاك
بالملايا منتشر ، عليك أن تضع ستائر من السلك أكثر ضيقا من
هذه

إذن فإن الشيء كلما لطف عنف ، أى : كلما صعر الشيء
فى اللحم كان عنيفا أكثر ، والعنف ليس مرتبطا بحجم المادة ، إنما
من عمق فاعلية المادة وتأثيرها ، وعلوم الطب تكشف كل يوم عن
الأمراض الخطيرة الفتاكة ، وتكون هذه الأمراض سبب أصغر

الميكروبات ححما ، كما أن هناك الآن أشعة «الليزر» التى يتم بها
إجراء عمليات جراحية بدون مشرط أو برون قطرة من الدم .
هذه الأشعة تحترق أدق وأصلب الأشياء

ولحسد أمر مقطوع به رغم أنه ليس من الأمور المادية ، فلماذا
سكر على الحاسد أن بصره قد تصدر عنه أشعة أشف وأحف من
أشعة الليزر ؟

قد يقول قائل وما ذنب المقتول به من الحسد ؟

نقول أيضا : وما ذنب المقتول خطأ برصاصة ؟

إن حساب ذلك بالثواب والعقاب عند الحق العليم .

وقول الحق سبحانه ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [العلق ٥] أى
أن بعض لباس بحسد ، ولذلك عندما يرى الإنسان نعمة الله
على إنسان آخر فعليه أن يقرأ سورة العلق ، وليقل ما شاء الله
ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا يحقد على صاحب النعمة حيثئذ
تعتق في قلبه نوافذ الإشعاع الحاسد ، لأن هذه الإشعاعات الباردة
لا تخرج إلا فى حالات الحقد والغضب .

يد الإنسان حين يقول ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا
بالله ، فيه يقى نفسه من أن يكون حاسداً ، ويمنع غيره بقوه الحق
سبحانه وتعالى من أن يكون حاسدا له .

الإسراف

الله سبحانه وتعالى حين يحرم شيئاً فمن المؤكد أنه محدود بالنسبة إلى ما أحله سبحانه ، فالمحرم قليل ، وبقية ما لم يحرمه الله هو الكثير واقرأ قول الله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ مَحْرُورِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥) وَلَا تَقْرَبُوا مَا نَالِيَتِيمٌ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٢) ﴾ [الأنعام]

بالحق سبحانه يورد المحرمات وهي أشياء محددة محدودة ، أما النعم فهي جليلة عظيمة أكثر من أن تحصى وتعد ، ومن هذا الأمر نعرف سعة رحمانيه الحق بالخلق ، لقد خلق سبحانه الكثير من النعم ولم يحرم إلا لقليل ، وسبحانه حين يحرم ؛ حرم لتبقى كل نعمة في مجالها فإذا ما جاء إنسان وقال إن الله قد حرم هذا الشيء لأنه صار ، نقول له : إن ما تقوله أمر حائز ولكن ليس هذا الصدد سب الحكم بكل المحرمات فقد يحرم الله سبحانه أمراً لتأديب قوم ما ، فلو نظرنا نحن إلى واقعنا مثلاً فقد

يُحَدُّ أَنَا مُسْثُولًا عَنْ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ قَدْ يَحْرُمُ عَلَى وَلَدٍ فِيهِمْ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ أَوْ حَرَاءً مِنَ مَصْرُوفِ الْيَدِ وَيَكُونُ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ الْعُقُوبَةُ

وَكَذَلِكَ بَرَى أُنْ سَى إِسْرَائِيلَ اسْتَحَقُّوا عَقُوبَةً ، لِتَحْرِيمِ لَأَنَّهُمْ حَاءُوا مِنْ حَلْفِ مَنَهِجِ اللَّهِ وَأَحْلَوْا لَأَنفُسَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَكَأَنَّ الْحَقَّ سَسْجَانَهُ يَقُولُ لَهُمْ : لَقَدْ احْتَرَأْتُمْ عَلَى مَا حَرَمْتُ فَحَلَلْتُمُوهُ ، لَدَهُ فَأَلَّ أَحْرَمَ عَلَيْكُمْ مَا أُحْلَلْتُمْ كُحْمَ مِنْ قَبْلِ دَنْكٍ لِمَاذَا ؟ .

حَتَّى لَا يَفْهَمُ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ بِتَحْلِيلِهِ لِنَفْسِهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ قَدْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ وَرَاءِ اللَّهِ . . . لَا . . . إِنْ أَحَدًا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَغْيِبَ اللَّهُ سَسْجَانَهُ ، فَالْبَاحِ سَسْجَانَهُ قَدْ يَحْرُمُ عَلَيْكَ شَيْءٌ كَانَ حَلَالًا ، وَلِهَذَا فَالتَّحْرِيمُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَحْرِيمٌ طَبْعٍ أَوْ تَحْرِيمٌ فِطْرَةٍ .

فَنَحْنُ نَحْدُ الرَّجُلَ الَّذِي أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ فِي تَنَاوُلِ مَحْرُمَاتٍ كَالْخَمْرِ مَثَلًا ثُمَّ بَعْدَ أَنْ أَخَذَتْ بِجَسَدِهِ ذَهَبَ إِلَى الطَّبِيبِ فَقَالَ لَهُ إِنْ شَرِبْتَهَا ثَانِيَةً سَيَنْتَهَى كَبِدُكَ ، ثُمَّ يَمْنَعُهُ مِنْ أَصْنَافٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَهَذَا ظَلَمٌ مِنَ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ نَتِجَ عَنْهُ تَحْرِيمُ أَشْيَاءَ عَلَيْهِ ، إِنْ مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ قَدْ اسْتَحْلَلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالطَّبْعِ وَالتَّكْوِينِ ، وَالسَّنَةِ الْكُونِيَّةِ أُمُورًا كَانَتْ حَلَالًا لَهُ .

وَرَجُلٌ آخَرُ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ فِي تَنَاوُلِ صَنْفٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الطَّعَامِ كَالْكَسْرِ مَثَلًا فَوْقَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ فَكَأَنَّ سَنَةَ اللَّهِ الْكُونِيَّةَ تَقُولُ لَهُ لَقَدْ أَخَذْتَ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِكَ وَبَسَبَ ذَلِكَ صَرْتِ مَرِيضًا

فإياك أن تتناول السكريات مرة أخرى ، ويظل المريض بالسكر يشتهي الحلوى ، ويملك القدرة على شرائها ولكنها ممنوعة عليه ، وكأن الحق سبحانه وتعالى يقول له : بطلم منك لنفسك حرمت على نفسك ما أحلته لك

وآخر يملك الثروات والخدم والمزارع الشاسعة ويوم له الآخرون يطحن الغلال ، ويأمر بأن يصنع له الخبز من أنقى أصناف الدقيق الحالى من الردة ويصنعون الخبز الأبيض ويأكل منه ، سيما الاتباع يصنعون لأنفسهم الخبز من الدقيق الأقل نقاوة فكأن سعة لله الكونية تقول له أنت ستأكل الخبز المصنوع من الردة لأنك أسرفت على نفسك من أكل الخبز المصنوع من الدقيق الفاخر ، وليأكل رعياءك وعمالك الخبز المصنوع من أفخر ألوان لدقيق ، وكأن الله تعالى يقول له : فبطلم منك حرما ما أحل لك

دون فالإنسان ما عندما يرى إنسان آخر حُرِمَ من نعم الله التي هي حلال فليعلم أن ذلك الإنسان سبق وأن أحل ما حرم الله عليه ، أو طعم نفسه بالإسراف حتى شيء كانت الفطرة والطبع تقتضيان الاعتدال فيه . إن أحدا ما لا يملت من رقة الله ، والتحريم يكون بالتشريع إذا كانت العقوبة من المشرع ، وقد يكون تحرما بالطبع ، وهذا إن كان في الأمر إسراف من النفس ، ولنقرأ دائما قول الله تعالى ﴿فَظَلَمَ مَنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْعِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء ١٠]

وكذلك الذى يأخذ مالا بالربا ، إنه يأخذه ليريد ماله ، هنا
 نقول له : لماذا تريد المال ؟ أتريده لدات المال أم لهدف آخر ؟ امد
 رزق ، لكنه رزق غير مباشر ، لأنه يشتري الأشياء التى يتتفع بها
 الإنسان وهى الرزق المباشر ، بقول : هب أب إنسان فى صحراء
 ومعه حمل من الذهب لكن الطعام انقطع عنه ، إن حمل الذهب
 فى مثل هذه الحالة لا يساوى شيئا بل يصحح رغبة الخبز وكوب
 الماء أعلى من الذهب

إذن فالمد رزق لكنه غير مباشر يأتى بالرزق المباشر والذى
 يريد ماله بالربا ، هل يريد تلك الزيادة من أجل المتعة ؟ فليعلم
 أن الله سبحانه يحق ذلك ويرب المال فى الكوارث
 إن الإنسان إذا أراد أن يبقى له ما أحل الله إلى أن يأتى أحده
 فعليه ألا يستبيح أى شىء حرمه الله ، وبذلك يظل مستمتعا بنعم
 الله عليه



الظلم

يقول الله تبارك وتعالى . ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ ﴾ [فصلت ٤٦]

إذن فالإنسان هو الذي يظلم نفسه ، ويقول الحق سبحانه
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَكَانَ النَّاسُ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس ٤٤]

فإنها أيها الإنسان أن تظن أنك حير نظلم أحدا بتبدير السوء له
قد كسبت الدنيا ، وهذا غير صحيح ، ولو علم الظالم ماذا أعد
الله للمظلوم بضن عليه بظلمه

وهب أن رجلاً مثلاً له ولدان وجاء ولد منهما وصرب أخاه ،
أو خطف منه شيئاً كان معه ثم عرف الأب ذلك قلب هذا
الأب يكون مع من ؟ قلبه بالطبع يكون مع المظلوم فيحاول أن
يرضيه ، فإن كان الأخ الظالم قد أخذ منه شيئاً يساوى عشرة
فروش فإن الأب يعرضه بشيء يساوى مائة قرش ، ها يجد الابن
الظالم يعيش فى حسرة ، لأنه لو علم مسبقاً أن والده سيكرم
أخاه المظلوم لما ظلم أخاه أبداً .

إن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ومن الممارقات التى تروى مفارقة
تقول : إن كب ولا بد مغتابا فاعتب أبويك ، ويقول السامع
لذلك وكيف أغتاب أبى وأمى ؟!

يقول أصحاب المفارقة إن والديك أولى بحسناتك فبدلاً من أن تعطى حسناتك لعدوك ابحث عمن تحبهم وأعطهم حسناتك .
إن صاحب المفارقة هذه يريد أن يكره المعتاد فيها ، وحيثية هذه المفارقة هي لا تكن أيها المعتاد أحقق ، لأنك لا تغتات إلا عن عداوة ، وكيف تعطى حسناتك التي هي أثم نتيجة لأعمالك لعدوك ؟!

ويروى أن الحسن البصري بلغه أن أحداً قد غتابه فأرسل الحسن شحفاً إلى المعتاد ومعه طبق من البلح الرطب وقال لهذا الشخص : اذهب بهذا الطبق إلى فلان وقل له بَلِّغ الحسن أنك غتبت به بالأمس ، وهذا يعنى أنك أهديت له حسناتك ، رحسناتك بلا شك أثم من هذا الرطب .

إن الظلم كالجور وهو نوع من الاعتداء أو القسر أو القهر أو تنقاص القدر أو القيمة ، ويقابل الظلم لإنصاف كما يقابل الجور العدل .

الظلم إذن . انتقاص من حق الناس ، فما باله عندما ينتقص الإنسان من حق نفسه ، أى أن يظلم نفسه ، وظلم النفس هو أبشع ألوان الظلم فانتقص كرمها الله وخلقها ، فقد كانت تستحق من الإنسان أن يرعاها وأن يحقق مراد الله منها ، وأن يجمع عنها إلحاح شتاء ما يعضب الله يقول الحق سبحانه وتعالى

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ (٣٥) أُولَٰئِكَ جِزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمُ الْأَعْمَالِ (٣٦)﴾ [آل عمران]

إن ظلم النفس يعنى أن يبيع الإنسان دينه دنيا غيره ، فهو
لا يحقق لنفسه أى نفع أجل أو عاجل
وقديماً قلوا شر الناس من باع دينه بدباه ، وشر هؤلاء الذين
دعوا دينهم بدبا غيرهم .

لهؤلاء وأولئك كتب الله لهم الطريق إلى النجاة ؛ وذلك بأن
يدكروا الله ، وأن يستغفروا ، وألا يعودوا إلى مثل تلك الفواحش ،
أو ظلم النفس حتى يغفر الله لهم ، ويرزقهم الجنة . ذلك أن
الله لا يظلم أحدا ولكن الناس يظلمون أنفسهم ، لأن الناس
تنقص قدرها من النافع الباقي ويقعون أسرى للذى يزول .



السخرية والاستهزاء بالناس

إن لاسهرء بالدس أو السخرية من عيوب أحد الدس هو دليل على عدم تمكن الإيمان من النفس ذلك بأن الله خالق لكل الشر، فهذا المخلوق الذى به عيب خلقى ، ليس له دحل فى ذلك العيب، وإنما هى مشيئة الله الذى خلق هذا المخلوق على تلك الصورة لحكمة اقتضت ذلك لا يعلمها إلا الله سبحانه وعندما يسخر إنسان ما من عيب إنسان آخر فمعنى ذلك أن الساهر إنما يسخر من صنعة لله ، والسخرية من هذا النوع هى عدم إيمانية النفس لمخلوقه كل البشر من له واحد .

إذن ولذى يبحث عن عيوب الشر فهو يبحث عن عيوب أرادها الله سبحانه وتعالى لحكمة فى كونه ، وما دامت لحكمة فهى ليست عيوباً .

فمثلاً حين يعيب إنسان على صناعة كرسى أو مائدة فهذا ليس تعديلاً على الكرسى أو المائدة ولكنه تعديل على من قام بصناعة هذا الكرسى أو تلك المائدة .

لذا فكل من يسخر من إنسان به عيب ، فليعلم أن الإنسان لا حيلة له فى صنع نفسه

إذن فالسخرية هنا تكون من خلق الله، وهذا نوع من العيب، لأن الذى يسخر من عيب إنسان فإنه لم يقدر الخصال الحميدة

التي يتفصل بها الله على هذا الإنسان الذي سحر به ،
لذلك يقول الحق سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ
قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا سَاءَ مَن يَسَاءُ عَسَىٰ أَن يَكُرَّ حَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات ١]

إن الحق سبحانه يأمر كل المؤمنين ألا يسخر أحدٌ من أحد ،
ذلك لأن في كل إنسان من الخصال الحميدة التي تعمى عنها
بصيرة الساحر ، وقد يكون في السائر نفسه بعض الخصال السيئة
التي لا يحب أحد أن يسخر منها .

د في السخرية خروجاً عن مقصى الإيمان الكامل ، وظلماً
للغير وللنفس ، ويجب أن نعرف أن الله قد وضع على الصفات
واوهاب المختلفة بدرجات متفاوتة ، ولكن أحيراً يتساوى مجموع
صفات كل إنسان مع صفات أى إنسان .



الفساد

يأتى الفساد من أن ينقل الإنسان سلوكه من مجال افعل إلى مجال لا تفعل ، وأن ينقل الإنسان سلوكه من مجال لا تفعل إلى مجال افعل .

مثال ذلك أن المنهج الإلهي يقتضى أن يشهد الإنسان بأن لا له إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فالإنسان الذى يعلن ذلك هو الذى عليه أن يتقبل تكليف الله ، والإنسان الذى يكر ذلك هو الذى ينقل سلوكه من مجال افعل إلى مجال لا تفعل ، ذلك أن قول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، هذا لقور هو تجديد للعهد الذى بين العبد وبين خالقه سبحانه ، وبالتالي فهو التزام كامل بمنهج الله تعالى

وكذلك الإنسان الذى يعرف أن الصلاة ركن أساسى تقوم عليه حياة الإنسان فى الإيمان ، فهذا الإنسان إن أخلص فى أداء الصلوات الخمس كان ذلك عاصماً له من زلات الشيطان أو اتباع الهوى وكذلك الصيام والزكاة ، وأيضاً عدم يأمر الحق سبحانه وتعالى عبده بألا يشرب الخمر مثلاً عندئذ العبد الذى يطبق منهج الله هو الذى ينتهى على الفور من شرب الخمر ، ولعبد الذى يظل يشرب الخمر هو من خالف منهج الله تعالى فى افعل ولا تفعل .

إذن فالإفساد في الأرض هو بمن أثر هواه على منهج الله .
مثل الذي يأكل أموال الناس بالباطل، ويكثر من اغتصاب عرق
وتعب الآخرين فهذا إنسان لا يطبق منهج الله وهو مفسد في
الأرض .

لذا يجب أن نطبق هذه القاعدة في سلوك كل إنسان وهي أن
من يطبق منهج الله فقد أصلح نفسه ، وانسجم مع أوامر خالقه ،
وبالرضا لله بعد أن قام بمسئولية الاختيار وأداها كما يجب أن
تؤدي .

أما من لا يطبق منهج الله فقد أفسد نفسه ، وأفسد سلوكه
ذلك لأنه وقف من منهج الإيمان موقف السلب ، فلم ينفذ أمر
الله ، وقد أخلّ بعهدته مع الله

وهكذا نرى أن خروج الإنسان بفعل ما من مجال إلى مجال في
تشريعات الله تنطبق عليه العناصر الثلاثة التي حددها الله في
وصفه للماسقين أو أحدها ، وهي :

○ نقص للعهد .

○ قطع لما أمر الله به أن يوصل .

○ إفساد في الكون

يد المجتمع عندما لا يستظم الأفراد فيه بمنهج الله تعالى تجده
مضطربا ، لأن كل إنسان سيفعل ما يحلو له ، فسند التصادم

هي سبوك الشر ورغباتهم ، وسنجد لنقص للعهد ، والقطع ك
أمر الله به أن يوصل والإفساد في الأرض .

إن الفساد قبح لحمل الوجود ، ذلك أن المفسد في الأرض هو الذي يخرج الشيء عن حد اعتداله لمهتته ، ولما أن نعرف أن نفس المفسد في الأرض يشكل قبح في الوجود ، وينطبق لإفساد في الأرض على المستعمل لخدمات لشر فمثل الذي يخفي سلعة لها هامش ربح محدود وينكرها ليريد من ارتفاع الأسعار ما فوق طاقة لشر ، وكذلك المستعمل لخدمات لشر في الإسكان فيأخذ أموال الناس ليبني بها ولا يعطيهم حقوقهم ويستغل احتياهم إليه فيقوم سلب أموالهم هذا إفساد في الأرض ، لأنه قهر من إفساد قادر لإفساد غير قادر، وشر لكرهية بين الشر ، وحروح عن مفتصي مهج الله ، هذا الفجح والإفساد هو كإفساد لصانع لصعته ، أو كإفساد الذي يهدد شبكة مصرف الصحن في مسي حديد فلا يتقن صعته فيفسد لمنى كله . في ذلك هدراً لإمكانات كان بالإمكان أن يستفيد منها المجتمع كله في محال ما من الحالات

إن المهندس أو المقاول الذى لا يقيم الأساس على أسس سليمة فهو لا يصور حياة البشر الذين يسكنون فيه ، فهذا الأساس هو مفسد فى الأرض ، ولكن فى المجتمع المؤمن ، رباط الإيمان يقتضى

من كل مؤمن أن يرعى الله في عمله وفي ماله ، وأن يعرف أن
هناك عهدا بينه وبين الله على اتساع منهجه في عدالة وإتقان ، وأن
يقيم ميرايا لعمله فلا يستغل ولا يسلك سلوكاً يقطع إحساس
المسلم برعاية حق أخيه المؤمن وهو رباط أمر الله أن يوصل ، وأن
يكون المؤمن في عمله مخلصا لوجه الله فيتقن كل ما يعمل

إن الإنسان عندما يرى صنعة متقنة من قبل إنسان آخر فالإنسان
يقول إحساسا بلجمال ما شاء الله فينطق الإنسان لفظ الجلالة
تعبيرا عن عمل أتقنه صاحبه ، والإنسان عندما يرى عملا غير
متقن لصانع آخر فإنه يدعو على الصانع بدعاء قاس يحاربه الله
على حسب عمله ، والله لا يجارى مهما إلا بعقاب

والمهمل أو المفسد إنما يحرم الكون من ترديد لفظ الجلالة اعترافا
بالشكر ، وينعمة إتقن العمل ، والمهمل والمفسد ينثران القبح في
الكون الذي أتقن الله صنعه وسخره للإنسان ، لكن الإنسان الذي
يتقن عمله هو الذي يزيد في الكون صيحة الإعجاب والتقدير
عندما يطق كل إنسان بكلمة ما شاء الله إن اسم الله هو نعمة
يجب على الكون كله سماعها فما بالنا بجزء الإنسان المؤمن
المؤدى لعمله إتقن ؟ إنه حراء البركة في الرزق ، والبركة في
الحركة ، وراحة الضمير والرضى ، والتواصل الإنساني بأخوة
الإيمان ، أما المفسد في عمله فهو يحيا حياة الضللك لا يبارك الله

في رزقه ، ويفتقد التواصل مع ضميره الإيماني ، كما يفقد الإحساس بأخوة الإيمان ، وعندما يجد مهملًا أو مفسدًا أو حتى معاليًا في الثمر فإننا نسمع صيحة افتقاد لصانع أو الموظف للدمة ، وتنتشر في المجتمع روح لاسيه ، والمردية التي لا تعرف لأحى الإيماني وهكذا نجد أن مفسدًا واحدًا أو قبة من المفسدين أو المستغلين يشرون لرديلة في المجتمع كله ، فكيف يكون الحزن لو تعاون الناس على الإثم؟ إنهم إن فعلوا ذلك هدموا الخير كله والتعاون على الإثم يبدأ من كل من يعين على أمر يحالف أمر له في فعل ولا تفعل .

والذي يأمر بتطبيق أمر الله في فعل وينتهي بأمر الله لا تفعل هو من المتعاونين على البر والتقوى ، ومن يعمل صد ذك فهو من المتعاضدين على الإثم والعدوان لماذا ؟ لانه يقلل الأفعال من دائرة فعل إلى دائرة لا تفعل ، ويقلل النواهي من دائرة لا تفعل إلى دائرة افعل

مثال ذلك من يؤلف أعنية خليعة مشيرة ومهيحة للعرائر فهذه تكون أول لبنة في الإثم ، ثم يلحنها ملحن بإيقع يساعد على ذلك وهذه اللبنة الثانية في التعاون على الإثم ، ثم يعينها ثالث بإيحاءات مشيرة للعرائر فهذه درحة ثالثة من التعاون على الإثم ، ولذي يصفق حربا لهذا هو متعاون على ذلك أيضاً ، ولهدا يقون

الحق سبحانه ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة ٢٠]

هذا القول هو أساس عمارة الكور ، وكما أنه أساس مع الفساد في الكور

وكذلك الذي يرتشى ، والذي يسهل عملية الرشوة ، والذي يحمل الخمر للفس ، والذي يشربها ، والذي بدلس ، كل هؤلاء متعاونون على الإثم ولعدوان ، حتى إن البواب الذي يحلص أُمم مدخل العمارة ويعلم أن بها بيتاً يدار في أعمام مشوهة كلعب الصمر أو الدرة وما شابه ذلك من المفاسد ويأخذ الثمن على ذلك فهو من المتعاونين على الإثم



الخيانة

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَاثِمًا آثِمًا ﴾ [الساء ٧]

يأمر الله سبحانه وتعالى بعدم المحادثة عن الذين يختانون أنفسهم ، والجدل من لقتل ، فالإنسان حين يقتل شيئا كأن يحضر بعضا من لشعر والصوف أو الليف ويجعله ليصنع منه حلا فإنه يقتل هذا العرو ليقويه ويجعله يتحمل الشد والحدب ، ولذلك يقال عن مثل هذه العملية إما بجدل الخيل لعطيه قوه فكذلك شأن الخصمير كن واحد يريد أن يقوى حخته صد الآخر فيحاول جاهدا أن يقويها بما يشاء من أساليب العقل أو المصاحبة

واقترآن حين يعدل عن « يحونون أنفسهم » إلى ﴿ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فلا بد أن لهذا معنى كبيرا ، إن الخيانة هي أخذ م ليس مستحق ، أى بغير حق . وقد تسول للإنسان نفسه أن يحون غيره لكن هل من المقبول أن يحون الإنسان نفسه ١٢

إن الإنسان قد يخون من أجل مصلحة نفسه ، لكن لا يحون نفسه

وعليه ألا نأخذ المسألة بعاجل أثر الحياة ؛ ذلك لأن الإنسان حين يريد أن يعطي لنفسه شهوة عليها عقوبة فهذه خيانة للنفس ، لأن الإنسان في مثل هذه الحالة أعزل العقوبة عن الشهوة ، إن الشهوة عابرة لكن العقوبة باقية وهذه خيانة للنفس



الخائن إنسان يرفض ستر الله

الإنسان الذى يخون الناس إنما يخون نفسه فإذا ما خان الإنسان نفسه فهى عملية ليست سهلة وتتطلب افتعالا ، ومن هنا جاء قول الحق سبحانه ﴿يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ ، لار فى ذلك عملية افتعال للحياة ولذلك قال الحق سبحانه • ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الدِّينِ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوْنًا أَتِيمًا﴾ [الباء ٧]

ثم قال الحق بعد ذلك ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ حَصِيمًا﴾ [الباء ٥]

قال لله سبحانه وتعالى ﴿لِلْخَائِنِينَ﴾ ولم يقل خوائين لماذا ؟
إن الخائن تصدر منه الحياة مرة واحدة ، أما الخوان فتصدر منه الحياة مرات متعددة أو يكون لمعى هو أن الخائن تصدر منه الحياة فى أمر بسيط ، أما الخوان فتصدر منه الحياة فى أمر كبير إذن فمرة تأتى المبالغة فى تكرار الفعل ، ومرة تأتى فى صحيح المعنى أى عندما نقول «فلان أكر» أو «فلان أكال» هذه مبالغة فى «أكر» و «أكور» وهى مبالغة تكرار المعنى فالإنسان العادى يأكل ثلاث مرات والأكور يأكل عشر مرات مثلاً وقد يكون من الآكلين لوجة واحدة ولكنه يأكل أصعاف ما يأكل

الإسان ابعادى إد . فالمبالغة هنا تكون هي تصحيح نفس الحدث أو فى تكرار الحدث

إن من نطف الله أنه لم يقل « خائن » ، لأن الخائن هو من خان مرة ، وقد تكون عابرة وانتهى الأمر . ولم يخرج الله سبحانه عن دائرة السر والحب إلا إذا أخذ لخيانة طعنا ومادة وحرقة وأصبح خوا ، ولذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ .

وقد جاءت للحليمة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه امرأة أخذ ولده سرقة وأراد عمر أن يقيم على هذا الولد الحد ، وجاءت الأم تبكى وقالت يا أمير المؤمنين والله ما فعل هذا إلا هذه المرة قال عمر كذبت والله ما كان الله ليأخذ عبدا من أول مرة . ولذلك يقولون إذا عرفت فى رحل سيئة انكشفت وصارت واضحة فاعلم أن لها أخوات سابقات لها ولا يمكن أن يُفصح العبد من أول سيئة ، لأن الله سبحانه يحب أن يستر عبده ، لذلك يستر العبد مرة وثانية ثم إذا استمر العبد فى السيئة وأصر عليها ، ففصح الله وكشف ستره .



الكيد

الكيد هو محاولة الإنسان إفساد الحال لآخر ، أو لآخرين ، وهناك من يحاول إفساد الحال بدون حيلة ، فعندما يضبطه الإنسان يقول : لا ، أنا لم أفعل أى شيء ، هذا هو الكيد . ولا يُقَل على الكيد إلا الضعيف ؛ لأن القوى يواحه ولا يكيد ، ومثال ذلك الضعيف هو من يدس السم للقوى فهذا احتيال إفساد الحال ، لكن القوى لا يفعل مثل ذلك بل يواحه ، وحتى الذى يقتل نقول له إنك قليل الحيلة ، قليل الدكاء ، لأنك أثبتت مدمتك على قتله أنك لا تطيق حياته ، وكانت الرجولة تقتضى منك أن تواجه خصمك بالمنطق .

والحق سبحانه وتعالى يقول عن كيد الشيطان ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٧٦] فكيد الشيطان ضعيف ؛ لأنه لا يملك قوة يقهر بها ، ولا يملك حجة يقهر بها قلب الإنسان ليقنعه ، والكيد فيه احتيال ولا يحتال إلا اضعيف ، وكذب كاذب الكائن ضعيفا للعاية كان كيده كبيرا ولذلك يقولون : المرأة أكثر لؤما من الرجل ، ويستخدمون فى التدليل على ذلك قول الحق سبحانه ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنْ عَظِيمٌ﴾ [يوسف ٢٨] ونقول لهؤلاء مادام كيد النساء

عطيما ولابد أن ضعف الساء أعظم ، ولذلك أراد الشاعر العربي
أن يرر هذا المعنى برازا وصحا حتى لا تتعجب فيقول :
وضعيفة فإذا ما أصابت فرصة قتلت كذلك قدرة الضعفاء
فالضعيف عندما يمسك بالخصم ، أو تمكنه الظروف منه فإنه
لا يركه يفلت منه

إن الضعيف يخوف من انتقام الخصم ، بكر القوى مسك
بالخصم وبعد ذلك يتركه ويقول لنفسه : سأمسك به لأعاقبه إن
فعل شيئا آخر . وهكذا يعرف أنه كما كان الكيد عطيما فإن
الضعف يكون أعظم



المن بالصدقة

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦]

الذى يتصدق ويتع صدقته بالمن والأذى إنما يبطل صدقه فحسارته تكون حسارتين .

الخسارة الأولى : أنه أنقص ماله بالفعل ، لأن الله لن يعوض عليه ، لأنه أتبع الصدقة بما يبطلها وهو المن والأذى

الخسارة الثانية : هي الحرمان من ثواب الله من عطاء هذه الصدقة

الذى ينفق ماله ليقول الناس عنه أنه منفق ، أو أنه محسن فعليه أن يعرف أن الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا في هذا المحال أن الذى يدفع الأجر هو من عملت له العمل ، فالإنسان على محدودية قدرته يعطى الأجر على من عمل له عملاً ، ولذى يعمل من أجل أن يقول الناس إنه عمل فيأخذ أجره من القدرة

المحدودة للبشر ، ولذلك قال لنا رسول الله ﷺ عن الذي يفعل
الحسنة أو الصدقة ليقال عنه إنه فعل « لقد فعلت ليقال وقد قيل »
هذا الإنسان يأتي يوم القيامة فيجد أن لا أجر له ^(١)

وياك أيها الإنسان أن تقول أنا أنعمت ولم يوسع الله رزقي ،
لأن الله قد يتليك ويمتحنك فلا تفعل صدقة من أجل توسيع
الرزق ، لأن عطاء الله عبد المؤمن ليس في الدنيا فقط ، ولكن الله
قد يريد ألا يعطيك في الدنية ويبقى لك لعطاء في الآخرة ،
وعندما تتأمل قول الحق سبحانه وتعالى في حق الذي ينفق ثم

(١) أخرج مسلم [٥ / ١٩ / ١٥٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إن أول الناس يُقضى يوم القيامة
عليه ، رجل استشهد ، فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها قال : فما
عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت
ولكنك قتلت ليقال حرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على
وجهه حتى أُلقي في النار ورجل تعلم لعلم وعلمه وقرأ القرآن
فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم
وأمته وقرأت فيك بقرآن كذبت ، ولكنك تعلمت العلم
ليقال عادم وقرأت القرآن ليقل هو قاريء ، فقد قيل ، ثم أمر به
فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ورجل وسع الله عليه
وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها قال فما
عملت فيها قال ما تركت من سبيل تُحب أن يُنفق فيها ، لا
نُفقت فيها لك قدر كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو حواد فقد
قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم أُلقي في النار .

يتبع ما أتفق المولى والأدى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾
 [البقرة ٢٠٠] الصفوان هو الحجر الأملس الذى تسميه بالعامية
 «الزلط» ويقال للأصلع صفوان أى رأسه أملس كالمرورة ، ومعنى
 كلمة أملس أى لا مسام له، أو: لا مسام يمكن أن تدركه بالعين
 المحردة بما يدرك الإنسان هذه المسام بوضع الحجر تحت المجهر،
 وهذا الشيء عندما يكون ناعما يأتى عليه تراب وعندما يأتى المطر
 ويزل على التراب فلا يبقى من التراب شيئ على هذا الحجر
 الأملس ، ولو كان بالحجر بعض من الخشونة لبقى شيء من
 التراب بين نتوءات الحجر

إذن فالذى ينطق ماله رثاء الناس هو كالصفوان يتراكم عليه
 التراب ثم عندما يزل المطر على التراب فيزيده وقوله ﴿لَا
 يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أى فقدوا القدرة على امتلاك أى
 شيء؛ لأن الله جعل ما عملوا من عمل هباء منثور



الكبر

لا يوجد كبرياء إلا لله وحده ، أما الإنسان فهو من الأعيار ،
والقوى يصيبه الضعف ، والعنى يصيبه الفقر ، وإن كان عالماً فقد
يفقد علمه لسبب ما ، لذا فكل من أراد الاستعلاء والتكبر على
غيره فليحاول أن يبحث عن شيء ذاتي في نفسه يستحق أن يتكبر
به !

ومعنى ذلك أن يبحث عن شيء لا يسلب منه ، ولن يجد أحد
ذلك الشيء ؛ لأن الوجود الإنساني كله يطرأ عليه الأغيار ، من
عنى وفقر وضعف وقوة وصحة ثم ينتهى الكل بالموت .
لذلك فالمؤمن لصادق مع نفسه يعرف أن الكبرياء لله الواحد
القهار وحده لا يباذعه فيه أحد^(١) .

إذن فالمؤمن عليه ألا يحبط عمله بالاستعلاء على الخلق بما
ورقه الله من مال ، أو موهبة في عمل ينغ فيه ، لأنه يعلم أن
هذا كله من الله تعالى ، وأن الله مستخلفه وباطر ما يفعل فيه ،
فليرى كل مناربه ما يحب ويرضى .



(١) روى أبو داود [٤٠٩] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
الله ﷺ : إنا لله لله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إراري فمن نازعني
واحدة منهما فدفنته في النار .

الاختيال والتكبر

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء ٣٦] .

ما هو الاختيال ؟ وما هو الفخر ؟ .

مادة الاختيال كلها تدور على زهو الحركة لذلك نسمى الحصان من فصيلة الخيل ، لأنها تتخيل في مشيتها ، وعندما يركبها الفرسان تسخر بهم ، ولذلك كلمة الخيلاء من هذه

إذن فالاختيال حركة مرئية ، أما الفخر فهو حركة مسموعة ، فالحق سبحانه ينهى المؤمن أن يجعل صورته أمام الناس صورة المحتال الذي يسير بعنجهية ، ويعتبر نفسه مصدر النعمة فينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى ﴿ثَانِي عِظْمِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [٩] ذلك بما قدمت يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴿١٠﴾ [الحج]

أما الفخر . فهو أن يتشدد الإنسان بكلام غير صحيح أو مبالغ فيه فيحكي عما فعله ويمجده ويعلو من شأنه وكأنه مصدر كل عطاء الشر .



البخل

يقول لحق سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِينَ يُحَلُّونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ
بِالْبَحْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾
[النساء ٣٧]

الحل هو المشقة هي العطاء ، فعندما يُطلب من شخص ما أن
يُعطي شيئاً فإنه يحد في العطاء مشقة لذا فالؤمن موصوف
بسط الكف ، وأنه يسعد للعطاء ، أما الخيل فقد يذهب به
بحله أن يصن بالشئ الذي لا يضره بدله ، ولا يتفع بمنعه
إن الحيل لا يرغب في العطاء حتى ولو هي ذات نفسه ، وقرأ
قون الشاعر حين يصور البخل والشح فإنه وصف الحيل أنه
يحل على نفسه ، وذا كان الإنسان يخل على نفسه فكيف يحود
على غيره ؟

وكان الشاعر يدم شخصاً اسمه عيسى وهو يحيل حتى على
نفسه فيما لا يضره بذله ولا ينفع منه ، فيقول

يقتر عيسى على نفسه	وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره	لتنفس من مسخر واحد

إنه بحيل إلى الدرجة التي يضر بها على نفسه فلا يتنفس
تحتى أنه ، ولكنه يحاول أن يتنفس بمتحة ألف واحدة لو
استطاع .

وهو هو ذا ثاعر أحر يصور الحيل صورة تمع عن البخيل
لأريحية والكرم فيقول .

لو أن بيتك يا ابن عم محمد يبر يضيق بها فضاء المنزل
وأناك يوسف يستعيرك إبرة ليحيط قد قميصه لم تعمل
إنه بخيل حتى بإبرة واحدة لو طسها بي الله يوسف عليه السلام
لدى قد تمزق قميصه من در أثناء مراودة امرأة العرير له عن نفسه
هذا هو البخيل فى حيال الشاعر ، ولو أن بب كيوسف الصديق
حاء إبن هذا البخيل الذى يملك منزلا مليئا بالإنر ولن يعطيه
لسخيل إبرة واحدة يخيط بها قميصه

قد الحق سبحانه ﴿ وَلَا يَخْسِبُ الَّذِينَ يُحْلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فصله هُوَ حَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ولله ميراثُ السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ [آل عمران : ١٠]
الحق سبحانه وتعالى يصنع للبخيل بما يحسن به طوق حول عنقه ،
فإنه البخيل قد بذل قليلا لكان الطوق خفيف حول رقبته يوم
القيامة ، لكن البخيل كلما مع نفسه من العطاء إرداد الطوق ثقلا

ولقد قال الحق سبحانه وتعالى أيضا عن الذين يكتزون لذهب
والفضة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ لَتُكْوَى بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَخُوبُهُمْ وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم
تكتزون (٣٥) ﴾ [التوبة]

وذلك يعنى أن كل ما كنزوه من الذهب والفضة يحرق عليها
فى النار يوم القيامة لتكوى به الجباه والجنوب جمع جنب
إذن فالإنسان العاقل هو من يحفظ عن نفسه الكى بما يكره .
والسحلاء عن عطاء الناس من مال الله لا يكتفون بما بحلوا به
وهى تحسية حلقية فى نفوسهم يحبون أن تتعدى إلى سواهم
كأنهم عشقوا السحل ويقولهم أن يررر إسانا جواردا فيقول السخيل
للمسوق فى سسل الله لا تنفق لماذا ؟ لأن البحيل يؤله أن يرى
الكرم ، ويحب أن يكون الناس كلهم سحلاء وذلك حتى لا يكون
هناك من هو أفضل منه ، فالبحيل يعرف أن الكرم أفضل من
السحل ، والدليل أنه يطلب من الناس جميعا أن يكونوا سحلاء
وهؤلاء هم الذين قال فيهم الحق سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ
يَحْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْحُلِّ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء ٢٧]

يدد فالبخيل هو من صر بما آتاه الله من فضله على من لم يؤت من فضل الله

والبخل ليس في المال فقط ، إنما هو في كل موهبة من المواهب التي أعطها الله لأحد من خلقه وتقص عند الغير ، فمن صر بها فهو داخل في البخل ، فالذي يبخل بقدرته على معونة العاجر عن القدرة فهو بخيل ، والذي يبخل بما عنده من علم على من لا يعلم فهو بخيل ، والذي يبخل حتى على السفيه بالحلم فهو محيل ، فإذا كان الإنسان يملك طاقة من العلم فلماذا لا يبذلها على السفيه ؟ .

إذن . فمن معاني البخل هو أن يمنع الإنسان شيئاً قد وهبه الله له عن مخلوق محتاح ، فمثلاً ذلك السارق في صنعة ما يضر بأسرارها على تلاميذه ، هذا لون من البخل كما يقول الحق سبحانه ﴿ الَّذِينَ يَحْلُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [النساء ٣٧] .

وقوله تعالى ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًا ﴾ [النساء ٣٧]

إن الكتم هو . منع شيء يريد أن يحرق بطبيعته ، فيحاول الكتم كتمه ، فعندما يحرق إسان فهو يكتم الدم ، لأنه إن لم يكتم الدم فإن الإنسان يزف حتى يصمى دمه . وكان المال والعلم وكل موهبة خلقها الله يريد أن تطهر وتنتشر بين الناس لذا فإن

المصرة الطبيعية هي كل رزق مادي أو رزق معنوي هو أن يستطرق
- يورع بين الشر فكل شيء محبوق بخدمة الإنسان
فعندما يأتي إنسان ليكتسب شيئاً مخلوق لخدمة الإنسان ، ويحججه
فقد مع الشيء عن أداء رسالته .

ولم يكن كس شيء خلقه الله من أجل خدمة الإنسان فيجب ألا يعوقه أحد عن هذه الخدمة ، وليرق مادياً كان أم معنوياً يغضب ويحزن ، ولا بد أن يتسع طر العبد المؤمن أن الحماد أيضاً يغضب ويحزن ، واقرأ قول الحق سبحانه . ﴿ فَمَا بَكَتُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان ٢٤] .

إِذَا فَبِإِلَاحِ الْخَلْقِ فِي قُوَّةٍ ﴿٢٧﴾ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٢٨﴾ [النساء ٢٧] يبين لنا أن كل شيء مخلوق هو مدك لله تعالى خالقه وموحد له ، وليس هناك شيء ذاتي في الإنسان ولنسخر إلى أن يكون حولنا وسنحده كله أغيارا فنحن في حياتنا نرى القادر قد صار عاجزا ، وبري العني قد صار فقيرا ، والأيام دول

من أحسن ذلك حتى لا تستقر الأشياء أمام الإنسان ، وما من واحد إلا وعمر أمام عييه ، وفي تاريخه ، وفي سمعه إلا أنه كان ثم صار غير ما كان ، وما دام لأمر كذلك فلم لا يعتر ؟

إن البحيل عندما يكثر ما آتاه الله من ما فهو يحرم نفسه منه ،
ويصير المال إلى أولاده أو ورثته وقد ينفقونه في غير ما كان
بحب ، ولا أحد بقادر على أن يحد خالفه أبدا

إن البحيل ييسر السبيل لغيره فقد حرم نفسه وادخر فلان
دحر ؟ ، إنه ادحر لبشر آخرين ، ومادام الادحر لأناس آخرين
فهذا يعنى أن رزق البحيل صيق والدين سيأخذونه رزقهم واسع ،
والبحيل حين تمنع المال عن الغير فهو قد ييسر سبيلا لمن يعطى
مستقبلا أى يدبر المال للمنفق فى أن ينفقه . إنه ييسر السبيل
للكريم



فعل السوء

قال الله تبارك وتعالى ﴿مَنْ عَمِلْ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ
بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام : ٥٢]

السوء هو الأمر المنهى عنه من الله ، وهذا من يعمل لسوء
جهالة

وشدح ير الناس أن الجهالة تعنى عدم العلم ، وهذا فهم
حاطىء للجهالة. إن لدى لا يعلم هو المرء الخالى الذهن ، ولكن
الجهالة هي أن يعلم الإنسان حكم ضد الواقع ، مثل أن يكون
مؤمن بعقيدة تحالف الواقع

ومعالجه الجهالة تقتضى أن ينزع منه هذه لعقيدة التى صد الواقع
ثم يقعه بالعقيدة المطابقة للواقع

إن لدى سبب المتاعب للناس هم الجهلة ، لأن الجاهل يعتقد
فى قصة ويؤمن بها وهى تخالف لواقع ، إن الجهالة هي السفه
والطيش ؛ والطيش يكون بعدم تدبر نتائج الفعل ، والسفه هو أن
لإنسان لا يقدر قيمة ما يموت من ثواب ، وما يلحقه من عقاب ،
وقد يكون الإنسان مؤمنا ولكنه يرتكب السوء ، لأنه لم يستحضر
الثواب والعقاب ، وبذلك يرتكب من السوء ما يحقق له شهوة

عاجلة دون التمعن في نتائج ذلك مستقبلا ولو أن ذلك الإنسان قد استحضر الثواب والعقاب لما فعل ذلك السوء .
ومن معانى عمل السوء بجهالة هو أنه ارتكاب الأمر السيئ دون أن يبيت له الإنسان أو يخطط له .

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧] .

الله سبحانه وتعالى يقبل توبة مرتكبي الذنب إذا ما ارتكبوه في حالة من الحماسة والطيش ثم يتوبون إلى الله تعالى، هؤلاء يقبل الحق سبحانه وتعالى توبتهم ، لكن الذين لا يندمون على فعل السوء هؤلاء يقول عنهم الحق :

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُرُّونَ بِهِمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨] .



رقم الإيداع
٢٠٠٠ / ٨١٢٥

الترقيم الدولي

977 - 08 - 0915 - 2

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣

الفضيلة

الطاعة	١٣
الطاعة محبوبة الله تعالى	١٦
الستر على الناس	١٧
التوكل على الله	٢٠
بين التوكل والتوكل	٢٣
فعل الخير	٢٥
الصدق	٢٧
الصبر	٣٠
ألوان الصبر	٣٢
البر	٣٤
التعاون على البر	٣٦
كظم الغيظ	٣٨
العاملة بإحسان	٤٢
للو الدين	٤٢
لذوى القربى	٤٤
لليتامى	٤٥
الحكمة	٤٧
العدل	٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
مطلوبات الأمانة .. ومطلوبات العدل	٥٢
الأمانة	٦١
جهالة الإنسان	٦٣
الامانة التي أعطاها الله لخلقه	٦٥
استقبال قضاء الله	٦٧
الإنفاق ابتغاء مرضاة الله	٧٠

الزينة

الحسد	٧٧
الإسراف	٨٠
الظلم	٨٤
السخرية والاستهزاء بالناس	٨٧
الفساد	٨٩
الخيانة	٩٥
الحائن إنسان يرفض ستر الله	٩٧
الكيد	٩٩
المن بالصدقة	١٠١
الكبر	١٠٤
الاختيال والتكبر	١٠٥
البخل	١٠٦
فعل السوء	١١٢
الفهرس	١١٥

